قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارس البنات الأولية
والابتدائية والأولية الراقية والمعلمات

كتاب

الأخلاق للبنات

(تأليف)

محمد أحمد جاد بك و محمد حمدي بك
مدير المخازن بوزارة المعارف — ناظر مدرسة التجارة العليا

« الطبعة السابعة »

سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٣٤٢٩/٢٦/٦٠٠٠

قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارس البنات الأولية
والابتدائية والأولية الراقية والمعلمات

كتاب

الأخلاق للبنات

(تأليف)

محمد احمد جاد بك
مدير المخازن بوزارة المعارف

و

محمد حمدي بك
ناظر مدرسة التجارة العليا

« الطبعة السابعة »

سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م



الجنة تحت أقدام الأمهات



يا سَعاداتُ احْمِلِيهِ   وَعَلَى الفَرْشِ ضَعِيهِ

وَخُذِيهِ بِتَأَنٍّ   وَلَهُ سَمِّي وَغَنِّي

(صفحة ٨٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفِّق إلى الفلاح والنجاح ، المُعين على سلوك طريق الإرشاد والإصلاح ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرْسَل بالهداية ، وعلى آله وأصحابه أُولى الفضل والدِّراية ،

﴿ أما بعد ﴾ فقد حدانا الى تأليف هذا الكتاب ما نشاهده في مُعْظَمِ الأسرات المصرية من فُشُوِّ الأوهام والُخرافات ، مما يرجع سببه إلى قُصور المرأة عندنا وأنّها لم تَسْتَنِرْ بَعْدُ بنور العلم والعِرفان . فأضَرَّ هذا بأولادها وأثَّر تأثيراً سيِّئاً فى تدبير منزلها ، فساءت حاله ولم يَعُدْ مُسْتَقَرًّا للسعادة المنشُودة ، وكيف يُرجَى من بِيئةٍ كهذه أن تَنْبُت فيها الأطفال نباتاً حسناً ، حتى يكونوا عماد الأمة ودعائمها التى يقامُ عليها بناءُ المستقبل ؟

سبقت الغربية أختها الشرقية فأصبح البونُ بينهما شاسعاً : فكانت الغربية عاملا قويًا فى تكوين التمدين الأوربى الحاضر، الذى هو ثمرة من ثمرات تربيتها الرشيدة لطفلها وتعهدها اياه منذُ المهدِ ، وفطْرهِ على متين الأخلاق والعادات ، فهى مربيهِ الأولُ وهاديه ومُرْشدُه

الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيّب الأعراق

وإن إصلاحَ حال المرأة المصرية وتقويم اعوجاجها ممّا عُنِىَ به الباحثون حديثاً ، وقد اتفقتْ كلمتُهم على ضرورة تعليمها ، ولكن بين إدراك هذه الغاية على أتم وجوهها وبين حالتها العقلية الحاضرة زمن ليس باليسير ، جرياً على سُنّةِ الترقى ، ولن تجد لسنة الله تبديلا

فأحببنا أن نتلافى فى هذه الصفحات بعضَ الشر ، وأن نستأصل شيئاً ممـا قرّ فى الأذهان من الخرافات والخزعبلات ، وأن نذكر بعض المستحسَن من آداب اللياقة النسوية ، وأردنا أن تنتفع بهذا الكتاب الناشئاتُ المصريات لا سيما التلميذات منهن ، فإنهن أقبلُ للموعظة

وأحرصُ على العمل بها والاهتداء بِهَدْيِها ، بحكمة ما حصّلْن عليه من العلم والتّهْذِيب

وَتَوَخَّيْنا في العبارة السهولة ، حتى تكون المعانى أسبَقَ إلى الذهن وأعْلقَ بالخاطر . ووضعنا الكثير من الموضوعات فى قالَبٍ روائىّ خيالى ، تشتاقه النفوس وتَصْبو إليه ، لما فى طبائع النَّشْء من الميل إلى الأقاصيص ، والإقبال عليها والعناية بشأنها . والله المسئول أن يحقّق فى هذا الكتاب ما نرجوه له من النفع وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

(تحريراً بالقاهرة في ربيع الأول سنة ١٣٤١ الموافق نوفمبر سنة ١٩٢٢)



وأحرصُ على العمل بها والاهتداء بِهَدْيِها ، بحكمة ما حصّلن عليه من العلم والتَّهْذِيب

وَتَوَخَّيْنا في العبارة السهولة ، حتى تكون المعانى أسبَقَ إِلى الذهن وأعْلقَ بالخاطر . ووضعنا الكثير من الموضوعات فى قالَبٍ روائىّ خيالى ، تشتاقه النفوس وتَصْبو إِليه ، لما فى طبائع النَّشْء من الميل إلى الأقاصيص ، والإِقبال عليها والعناية بشأنها . والله المسئول أن يحقِّقَ فى هذا الكتاب ما نرجوله من النفع وهو حسبنا ونعم الوكيل م؟

(تحريراً بالقاهرة في ربيع الأول سنة ١٣٤١ الموافق نوفمبر سنة ١٩٢٢)



فهرس الكتاب

(ا) فى الآداب

(ب) فى العادات

(ج) فى الحكايات

(د) فى الأناشيد

(٨) فى تراجم بعض مشهورات النساء

(الشرقيات)

(الغربيات)

فى الآداب

« آداب المنزل »

« لبيبة » فَتَاةٌ تبلُغ من العمر عَشْرَ سنين ، ولها من الأخلاق الفاضلة ما يَصِحُّ أن تكون به مِثالاً حسناً لصاحباتها ، حتى بعضِ الكبيرات منهُن ، فهىَ لا يفوتها مثلاً أن تُقَبِّل يَدَىْ والدها ووالدتها فى الصباح وفى المَساء قبل أن تنام وهى تُطيعهما طاعة تامة ، وتقول لأُخيها الصغيرِ إذا خالَفَ أو شَذَّ : إِن والدتى أَدْرَى بالصالح لنا ، فتجب علينا طاعَتُها . وأمَّا محبتها لإخوتها فظاهرةٌ من قيامها بما يُمكِنها من خدمتهم ، عن رِضاً وَطِيب خاطر . فكلهم يحبها لأنها هادئة دمِثةُ الأخلاق ، بعيدة عن كل ما يُشْتَمّ منه عنادٌ أو خُبْث : فلا يُسمع لها صِياح أو صُرَاخ ، لأنها تستحِى أن يَسْمع صوتَها الجيران أو الخدم ، بل تَخْجَلُ أن تَظهر بمظهر المَرَح والهِياج كما يفعل بعض البنات ، وإذا لعِبت

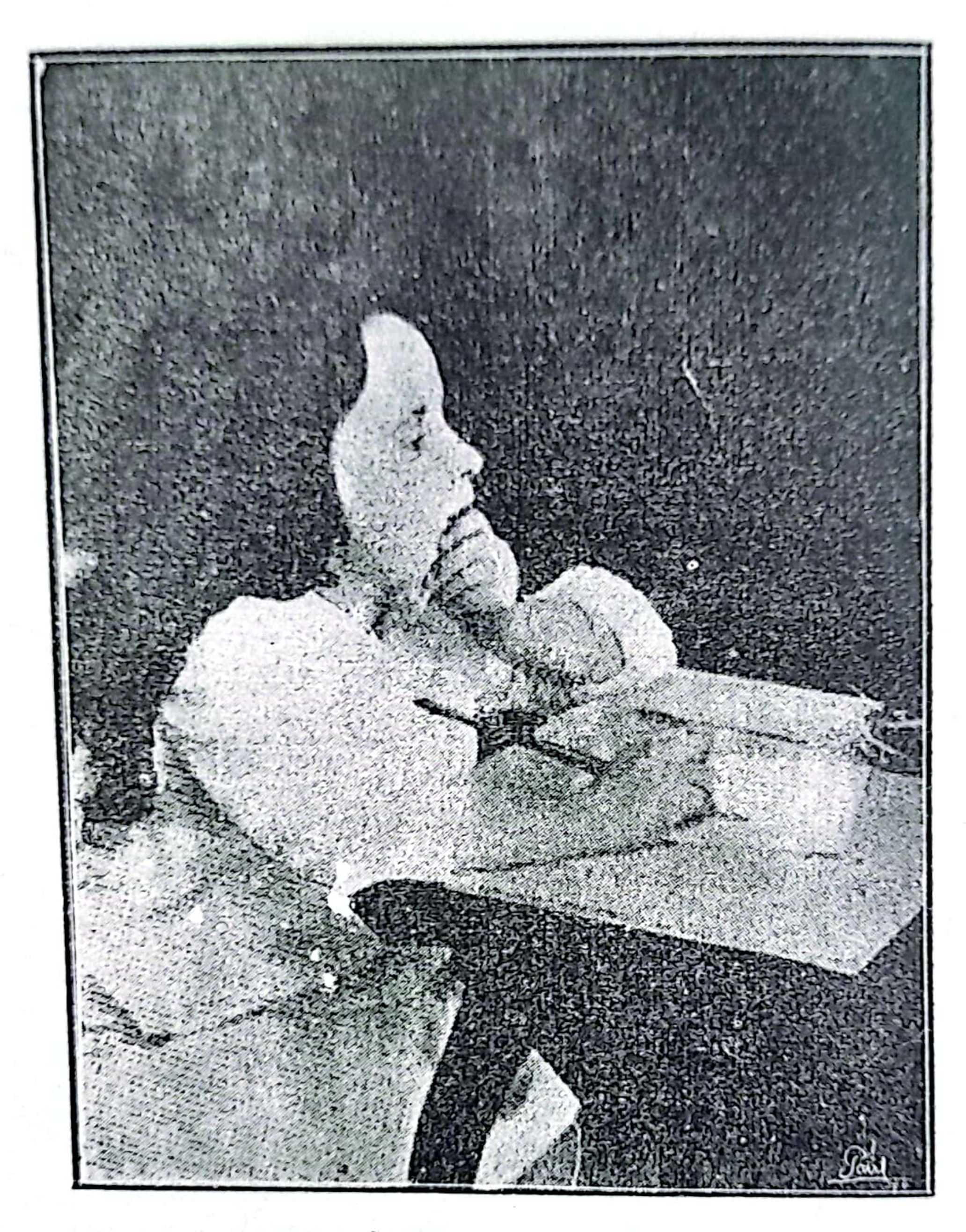
فإنها تلعب بما يفيدها ويزيد نشاطها ، محافظة على نظافة بدنها وثيابها. ثم إنها تُراعى دائماً راحة مَنْ بالمنزل : فإن كان أبوها يشتغل فى مكتبه ، أو أخوها يستذكر دروسه ، أو كانت أمها نائمة ، حاذَرَتْ أن يقع منها ما يوجب الانزعاج والتهويش.

ومن جميل صفاتها أيضاً أنها لا تَنْسَى أبداً الاستئذان لَدَى دُخول الغرف الخصوصيَّة ، فتقرع الباب بأَنْمُلَتِها ، وتنتظرُ حتى يُؤْذَن لها ، وإلا رجعت . فعلى البنات العاقلات أن يَتَّخِذْن « لبيبة » قُدْوَةً لهُن ، ويتحلَّيْن بجميل صفاتها ، وحميد أخلاقها

﴿ آداب المدرسة ﴾

« فائقة » تلميذة نجيبة ، من أحسن تلميذات المدارس المصرية ، وإنَّ اسمها فى الحقيقة لعَلَى مُسَمًّى : فما تأخرت عن الميعاد يوماً ، ولا انقطعت عن المدرسة بدون عُذر مانع .

ومن عادتها أن تَسْتَيْقِظَ فى الصباح ، فى وقت يُمكِّنها دائماً



« فائقة » فى الدَّرْسِ مِثَال الْجِدّ والالتفات

من التَّوَجُّه قبل الميعاد ، مع الراحة والاطمئنان . فإذا وصلت إلى المدرسة ، أخذت تُحيِّي رفيقاتها ببَشَاشـة ولطف . فإذا دخلت المكتب ، جلست مكانها منتظرةً معلمتها ، حتى إذا جاءت المعلمـة قامت احتراماً لها وتعظيماً لشأنها . وهى فى أثناء الدرس مثالُ الجِدِّ والعمل والالتفات : فلا تُكلم جارتها ، لأنها تعلم أن فى ذلك تَهْويشاً ، وإضاعةً لما تُلْقيه معلمتها من الفوائد ، فإذا سُئِلت ، تَنْهَضُ قائمةً ، ثم تُفَكِّرُ ثم تجيب ، أو تقول لا أعرف ، إن لم توفق للصواب . وإن أرادت أن تسأل سؤالاً تَرَيَّثَتْ ، حتى تَفْرُغ المعلمـة مما تقول ، فلا تقاطِعُها ، ثم ترفع يدها حتى يُؤْذَنَ لها فى الكلام . فإذا قُرِع الجرسُ المُؤْذِنُ بانتهاء الدرس ، وقفت مكانها منتظرة إذْنَ المعلمة بالانصراف . وفى ذلك من إظهار احترام الدرس والمدرسة ما لا يخفى . ولا يفوتها ، وقتَ الرياضة واللَّعِب ألا تُجهِدَ نفسها بالجرْى العنيف ، حتى لا تكون فى الدرس التالى مُتْعَبة . أما منظرها فكان دائماً مثالَ النظافة ، ولا شائبة فى ملابسها ولا بُقَع . وشعرها مُرَجَّل وأظافرها مقامة

نظيفة ، وكتبها وأدواتها تنطق بمقدار عنايتها بها ، حتى إنك تكاد لا ترى فى دفتر أو كتاب أثراً من تلويث بحبر أو غيره ، أو تمزيق أو إهمال

فمن ذلك كلّه ترى « فائقة » حقيقة قد فاقت قريناتها فى الأدب والكمال ، وحبّ النظام والتعلم

﴿ آداب السّير فى الطُّرُقات ﴾

الفتاة المهذَّبَة هى التى إذا خرجت من منزلها ، وسارت فى الطريق ، حفَّها الأدب والوقار ، وعَلَتْها الهَيْبَة والكمال : فلا تلتفتُ إلا للضرورة ، ولا تنظر إلى وجوه المارَّة ، فقد قال الله تعالى « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ » ولا تُجيب مَنْ يكلمها فى الطريق إلاَّ أقاربها الأَدْنَين ، إذا اقتضت الحال ذلك . ومن الأدب والحياء أن السيدات إذا كُنَّ جماعةً فى الطريق مَشَيْنَ ساكتات ، فإذا تكلمن وجب ألا يكون أمامَ المارة ، بل بعيداً عنهم ، بحيث يكون الحديث هَمْساً . والفتاة المهذَّبة مَنْ إذا سارت فى الطريق



آداب السّيْر فى الطرُقات

لا تُبْدى مِنْ زينتها شيئاً : فلا تُظْهِر الملابسَ ولا الْحُلِيَّ أو الشعر ، عملاً بقوله تعالى وهو أصدق القائلين « ولا يُبْدِينَ زينتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْهَا » ولقوله جل شأنه « وَلا يَضْرِبْنَ بأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ » كما يجب أن تكون المُلاءَةُ واسعةً رحْبَةً سابغةً ، وألا يكون البُرقع شفَّافاً ، يَنُمُّ على شىء من الوجه أو العنق أو الصَّدر ، عملاً بقوله تعالى « وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ » وخروج النساء مُتَعطِّرَاتٍ مُحَرَّمٌ شرعاً

فهذا هو أدبُ الدين ، الذى جعله الله سِياجاً للحَياء ، وقِواماً للعفَاف . وهو ينطبق على رُوح العُمران وقوانين التَّمَدُّنِ ، وما عـداه ضلال مبين ، هدانا الله الى صراطه المستقيم

﴿ آداب الزيارة ﴾

وداد — قومى يا أمى نخرجْ لِنزورَ بعض صاحباتِنا ، حتى نُفَرِّجَ عن أنفُسِنا لأنى لستُ منشرحة

الأم — وكيف نخرُجُ الآن والساعةُ التاسعةَ صباحاً ، وأمامَنا أعمالٌ كثيرةٌ لم تُنْجَزْ بعْدُ فى البيت ؟ فاعامى أنَّ مِنْ أكبر عيوبِ السيدات أن يَخْرُجْنَ ويتركْنَ منازلَهُنَّ مُعطَّلَةً

وداد — بالله قومى نخرُجْ ، وها هى الخادمة تعمل كل شىء

الأم — إِننى إِذا خرجت الآن لا يرتاحُ بالى : لِأَنى لم أتَعَوَّدْ أن أترك الخادمة فى بيتى تتصرَّف فيه كيف تشاء ، بل لا بُدَّ أن أُشْرِفَ على عملِها جميعِهِ ، وأعملَ معها ما يصح لى أن أُباشرَه ، حتى أكونَ قدْوَةً لها فى الإِحسان ، فلا يَتَطَرَّق إِليها الإِهمال والكسل

وداد — إِذن أذهبُ أنا وَحْدى إلى بيت جارتنا ، فأتحدث مع ابنتها نحو ساعة حتى تنتهىَ من عملك

الأم — كنت أحبُّ أن أسْمَعَ منك كلاماً غير هذا . فيجب أن تَبْقَىْ معى لتساعدينى على أداء الواجبات المنزلية . واعتقدى ياوداد أن العمل يَشْرحُ الصدرَ ، ويُزيل الهَمَّ ، وما أنتِ فيه من الانقباض إنما هو نتيجة الكسل ،

والدَّعَةِ والسكون ، والإخلاد إلى الراحة

وداد — لا بأس ، فأنا أمكث معك وأساعدك ، بشرط أن نخرج وَقْتَ العصر

الأم — لكِ ذلك ، وإنَّ هذه لفِكْرَةٌ جميلة ، لأنَّكِ إذا ذهبت إلى جارتنا الآن تجدينَها مع ابنتها فى شغْل شاغل عنك : تُرَتِّبُ البيت ، وتُعِدُّ الطعام أو تَخيط الملابس ، إلى غير ذلك من تدبير المنزل ، وكذا الحالُ فى كل أُسْرَة ، فيكون وجودُك بين السيدات مُعَطِّلاً ومُضَيِّعاً لوقتهن النفيس . أمَّا وقتُ العصر ، وقد انتهت كلٌّ من عملها ، فلا بأس بالتزاور . وإذا دخلنا منزلاً يا وداد ، وجاءت السيدات يُحَيِّينَنا ، فصافحيهنَّ باليد وقابليهن بالابتسام اللائق . قال الله تعالى « وإذا حُيِّيتم بتحيةٍ فحَيُّوا بأحسنَ منها أو رُدُّوها إن الله كان على كُلِّ شيءٍ حسيباً » ولا تدخلى فى حديث يكون من شأنه الاغتيابُ والفخر ، فإن مُعظَمَ مجالس النساء مشحونةٌ بهما . فما أقبح أن تتحدثَ السيدة بما عندها من خَدَم وحَشَم ، أو تفخَر بأثمان ملابسها وحُلِيِّها !

وداد — لقد آلمتنى يا أمى تلك المرأة التى قابلناها فى

منزل جارتنا فى الأسبوع الماضى ، وأخذت تنتقد ملابسى وتُظهرُ عيوبها

الأم — نعم وكنتُ أنا متألمةً أيضاً ، فالانتقاد على هذا الوجه معيبٌ مذموم ، إذْ كلٌّ إنسان وحالتُه المالية، أمَّا الزِّى (المودة) فتابع للذوق ، فلا عِتابَ ولا لَوْم

يجب يا وداد أن يكون حديثُ الزياراتِ حُلْواً فكاهياً لا يتناول الغِيبَةَ ولا السُّخْرِيَةَ ، فقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا يَسْخَرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ مِنْ نساءٍ عسى أن يَكُنَّ خيراً منهُنَّ » ، وقد قال تعالى « ولا يغتَبْ بعضُكم بعضاً أيُحِبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحمَ أخيه ميْتاً فكَرِهتُموهُ واتقُوا اللهَ إنَّ اللهَ توَّابٌ رحيمٌ »

أرجوكِ وأشكرُكِ

ما أحلى الوئامَ والائتلاف : فهما أساسُ الاجتماعِ والعُمرانِ، وعليهما مَدارُ نجاحِ الأعمال . ولولا مُبادلةُ الناس

بَعضِهم بعضاً الودَّ والصداقة ، لما اجتمعت تلميذات المدرسة مثلاً فى صَعيد واحد يلعبْن ويأكلْن ويتعامَلْن معاً . فهما من ضروريات هذه الحياة الدنيا، ولولاهما لكان الناس أشبهَ بالحيوانات المُفترسة منهم ببنى الإنسان . قال تعالى فى كتابه العزيز ، مخاطباً سيدَنا محمداً صلى الله عليه وسلم « ولو كنتَ فَظّاً غليظَ القلبِ لانفَضُّوا مِن حَولِك ». ومن أَهم الأَسباب فى غَرْس الود والصداقة ، التلطُّفُ فى القول مع الناس ، لا فرق بين كبير وصغير ، وغنى وفقير : فإذا طلبتِ شيئاً من أحد فاطلبيه برفق وقولى « أرجوك » أو « من فضلك » ، سواءٌ أكنتِ مخاطبةً أُمَّكِ أمْ أختَك أم غيرَهما ، ولو كنتِ أرفعَ من المخاطَب مقاماً وأعزَّ جاهاً . فإذا أُجيبَ طلبُك ، فقولى « أشكرُك » فإن الشكر حقٌّ عليك لمن يُسْدِى إليك معروفاً

ولَمَّا كان هذان اللفظان (أرجوك وأشكرك) من الألفاظ التى تَنُمُّ على أدب الشخص فى معاملاته ، أَصْبحا شائعِيْن شُيوعاً عظيماً جِداً بين الأمم المتمدينة : فيُسْمَعانِ فى عربات الترام والقُطُراتِ ، والمخازن العموميةِ ، والمصالِح ،

والمطاعِم ، والملاهى ، حتى صار النطقُ بهما عادةً من عادات الناس ، حتى الطفل الصغير تَسمعينه يقول لأمه عندما يطلب أىَّ شىء : أرجوكِ ، ثم يقول : أشكركِ . فعلى الفتيات أن يَتَحلَّيْنَ بهذا الأدب فى جميع معاملاتهن ، فإن فى تعوُّد حسن الخطاب ، والشكر على المعروف ، حِلْيَةَ الأخلاق وزينتَها ؟



في العادات

« مضارُّ التَّوسُّع في الحفلاتِ »

ملكة — ما قولُكِ يا أختي في هذه الحفلة البديعة . وما جمعَتْ من أسباب السرور والانشراح ؟ ألا توافقينني على كونها أجملَ حفلةِ عُرسٍ حضرناها في حياتنا ؟

عزيزة — نعم هي حفلةٌ بديعة ، ولكني أرى أن في إقامة الأفراح شيئاً كثيراً من الإسراف، أليس من الصواب ادّخارُ هذا المال الكثير ، لينفعَ الزوجين وأولادَهما في المستقبل ؟

ملكة — إنني لا أرى ما تَرَيْن : انظُري إلى هذه الأنوار المتلألئة والأعلامِ المنشورة ، وما حولها من طاقات الرياحين ، وهذه نغمات الموسيقى تَزيد بهجةَ الاحتفال ، والمدعوّاتُ يَرْفُلن في أجمل حُلَلَ البهاء ، متبَخْتِراتٍ ، تنظر

كلٌ إلى الأخرى مُعْجَبَةً بملابسها الجميلة ، هذا إلى ماهنالك من حُليّ وجواهرَ كريمة، ولا تنسى الأطعمة اللذيذة والتمتع بالسَّمَرِ إلى ما بعد مُنْتَصَف الليل : هذا متاع الحياة الدنيا ، فكيف تريدين أن نَحْرِمه ؟

عزيزة — عجباً ! إنك تنظرين للموضوع من جهة وأنا أنظر إليه من جهة أخرى : إنما أعْنى الإسرافَ والتبذير ، وإنفاقَ المال فى غير موضعه ووُجْهَتِه المشروعة ، فهذا ما أعترضُ عليه . وإني أمقُت أيضاً الاستدانة للتوسع فى إحياء الليالى الساهرة، حتى إذا أصبح الصباحُ حل الهمّ من النفس محل الانشراح والأُنس ، ووجد صاحب الدعوة نفسه وقد بهظَه الدَّيْن وتملَّكه الندم على إفراطه وسوء تدبيره ، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم . هذا عدا ما تُعطيه المَدْعُوّاتُ المغنياتِ والراقصاتِ من الهبات، مما يُعْتَبر دَيْناً على العروس وأهْلها. فإذا أقامت إحدى المدعوات مُحْتَفَلاً من هذا القبيل ، ولم تذهب العروس وأهلُها لرد الجميل ، اعتُبر ذلك عملاً شائناً ، كل هذه عاداتٌ غيرُ محمودة ، وقد آن الأوان أن نُقلع عنها

خالتهما — يظهر أنكما تتناقشان فى أمر مُهِم كما هو

شأنكما ، فهل وصلتما الى مسألة غامضة ؟

ملكة — اننا ياخالتى نبحث فى عادة الأفراح ، والشىء بالشىء يُذكر . فأختى تعترض على ذلك ، وتبغى أن نحرّم هذا المتاعَ الجميل ، دَفعاً للإسراف ، وما ينشأ عنه من الديون

خالتهما — لقد أصبت ياعزيزة المرمَى . ولو بذل كلٌّ مالَه فيما ينفع لأصبحتِ الأمة فى يُسرٍ ورخاء ، ولَمَا وقع كثير من الناس فى شَرك الإفلاس . فيجب أن يسير كلٌّ على حسب طاقته ، وما أصدقَ المثلَ القائلَ « على قدر لحافِك مُدَّ رِجلَك » والتقليدُ الأعمى مُضِر جداً ، فلا بأس بالاحتفال للعُرْس مع التوسط والاعتدال ، وخيرُ الأمور الوَسط

ضرر التبذير وحكمة التوفير

السيدة فريدة — ما أجمَلَ هذا الثوبَ الذى تَلبَسينه! فإنه يجمع الى الرشاقة سلامةَ الذَّوْق : فمِنْ أين اشتريت

نسيجه ومَنْ هى الخائطة التى خاطته لك ؟

السيدة عائشة — أمَّا النسيج فقد اشتراه لى زوجى بعد أن رأيت نَمُوذَجاً منه ، وأما التفصيل والخِياطة فقد قمت بهما بنفسى كما هى عادتى : فجميع ملابسى إلا قليلا وكذا ملابس زوجى من القمْصان والجلابيب والزيوق أَخيطها بنفسى

السيدة فريدة — ولكن هل تجدين عندك من الوقت والصبر متَّسَعاً لِكل هذا ؟

السيدة عائشة — نعم إِن هذا العمل أُؤَدِّيه فى أوقات الفراغ حَذَرَ الكَسل، وفِراراً من السآمة والملل . وزوجى لايحب من الملابس إلا ما أَصنعه بيدى . وإِننا نفتخر بذلك

السيدة فريدة — أرى أن هذا ليس من شأن السيدات الرفيعات أمثالِنا ، بل هو من عمل الفقيرات ، لأنهن لايَقْدِرْن على دفع أجور الخائطات ، أما نحن فلنا مِنْ يُسْرنا غُنْية

السيدة عائشة — قلت لك يا أُختى إِننى أقوم بهذا العمل تَرْوِيحاً عن النفس ، فلا أجد فيه مَشَقَّةً الْبَتة . وإنى

لا أخيطُ الثوب فى يوم واحد ولا فى ساعة واحدة ، بل فى ساعات متفرقة كلما وجدتُ الفُرْصَة سانحة . نعم عندنا المالُ الكافى كما تقولين ، ولكن مَنْ يعلم ما يُخَبِّئه الدهر ؟ فالواجب ألاَّ نُنفِقَ كلَّ إيرادنا بل نَدَّخِر منه جزءًا نتقى به طوارئَ الزمان ، وطوارق الحِدْثان : ألا تَرَيْن كيف تسعى النملة فى الصيف لخزنِ ماتقتاتُ به فى الشتاء ؟ فإذا كان هذا هو حالَ تلك الحشَرَة الحقيرة ، فما أجْدَرَ الإنسانَ ، الذى شَرَّفه الله على سائر مخلوقاته بالعقل والفكر أن يتبَصَّرَ فى العواقب! قال تعالى « إنَّ الْمبَذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين »

السيدة فريدة — إذاً من رأيِك التقتيرُ ، وتقليلُ أبوابِ الإنفاق : فلا ضرورةَ للخدم ، ولا للطعام الشَّهِيّ ، ولا للملابس الجميلة ، ولا السُّكْنى فى الجهات الصحية وهكذا

السيدة عائشة — لقد أخطأتِ فَهْمَ غرَضِى : فإن الاقتصاد ليس معناه التقتيرَ ، بل ادّخارُ جزءٍ من دَخْل الإنسان لينفعه وقت الضرورة . فالغنىُّ الذى يبلغ دخله فى الشهر ألفَ جنيه ، يمكنه أن يَدَّخر منها مائتى جنيه مثلا . والفقيرُ الذى يكسِب فى اليوم عشرةَ قروش ، قد يقتصد منها

قرشين، ويُنفق الثمانية على نفسه وعياله ، وهكذا . ولما كان الاقتصاد من ضروريات الحياة ، وكان كثير من الناس لا يعرف كيف يَحْتفِظُ بما يدّخره من مكسبه ، أنشأت الحكومةُ صناديقَ التوفير بمكاتب البريد ، وعمّمَتْها في جميع بُلدان القطر المصرى، ليسهُل على الناس إيداع أموالهم فيها ، حتى إذا اضْطُرُّوا يوماً لجأوا إليها ولتعويد الصغار التوفيرَ، وغرسَ ملَكة الاقتصاد فيهم ، بادرت وزارة المعارف إلى إدْخال نفس هذه الطريقة في المدارس ، حيثُ يَشُبُّ الولد والبنتُ على حُب الاقتصاد من الصغر

السيدة فريدة — لقد قلتِ حقاً ونثرْت دُرَراً غالية ، عَهِدْناكِ في الصغر فتاة امتازت بالأدب ،ورأيناكِ في الكبَر سَيّدَةً مُدَبِّرَة عاقلةً حازمة . حفظكِ الله ورعاكِ بعينِ عنايته

﴿ المآتم ﴾

ذهبت الآنسة عديلة لزيارة شقيقتها السيدة عائشة ،

فرأيتها مَوْعُوكة، مُصْفَرَّةَ الوجهِ محمرةَ العينين. ودَلَّ تثاؤبها على ما بها من كَسَل وتَعَب. فسألتها قائلة:

الآنسة عديلة — مالى أراكِ كمن أصابه بَرْدٌ أو زُكام

السيدة عائشة — دام سَهَرى طولَ ليلةِ أمس، فما قرَّ لى جَنْب

الآنسة عديلة — ولماذا ؟

السيدة عائشة — تُوُفِّىَ ابنُ جارتنا قُبَيْلَ الغروب، فملأت الدنيا صياحاً وعويلا، فصارت تَصْرُخ وتلطِمُ وجهها، ولقرب منزلها من منزلنا كان يَرِنُّ في بيتنا صَدَى اللطم والصُّراخ، فلم أنم ساعةً واحدة من الليل كلّه

الآنسة عديلة — مسكينة هذه المرأة! ما أصعبَ الفراق! حقاً إنها لمعذورة فيما فعلت

السيدة عائشة — حقيقة هى مسكينة، وتستحق الإشفاق، ولكن لا ينبغي لها أن تُقْلِقَ راحة الجيران هكذا، إذ لها أن تحْزَنَ وتبكى، وليس لها أن تفعل فعل المجانين. فحلولُ المصائب يُظهر الفرق بين المرأتين، المُرَبَّاةِ والجاهلة: إذ الأُولى تستعين بالصبر والجَلَد، وتجتهد في تسكين آلامها

وأحزانها ، ولا تَستَسْلِمُ إلى البكاء والنحيب ، عملا بقوله تعالى « وبَشِّرِ الصَّابرين الذين إذا أصابتْهُم مُصيبةٌ قالوا إنَّا للهِ وإنا إليـه راجِعُون ، أُولئِكَ عليهم صَلَواتٌ مِن رَبِّهِم ورحمـةٌ ، وأُولئك هُمُ المهتَدُون » . أما الثانية فعند حُلول المصاب تَفقد رُشْدَها ، وَيَضيع صوابُها ، فيشتد هِياجُها ، وتصير كالغريق ، لا يدْرِي الخلاص مما دَهاه

الآنسة عـديلة — صحيح ما تقولين، لـكن أظن أن جارتك خَفَّ حزنها نوعاً ما في الغَداة ، عند حضور أهلها وصاحباتها ، لتعزيتها في مُصابها الأليم

السيدة عائشة — كان الأمر على عكس ما تَظُنين َ : لأنهن زِدْنَ اللَّهبَ اشْتِعالاً ، والحزنَ شدة ، كَمن أراد أن يُطفِيءَ ناراً فصب عليهـا زيتاً . فحين دخلْنَ المنزل ، ارتفع صوتُهن بالصُّراخ كمن أُصيب بالصَّرَع ، وَوَلْوَلْن بعبارات تثير الحزن من مَـكْمَنه ، وتبعث الوَجْدَ من أعماق القلوب . وهذا ما يسمِّينَه بالعزاء ، فما أشنَعَهُ مِنْ عزاء ؟

الآنسة عديلة — أكان للمُتَوَفَّى جَنازةٌ مُوَقَّرة ؟

السيدة عائشة — كانت على ما يناسب جهلَهم ، لأن

أُمَّه أبت إلا أن يُؤْتَى بموسيقى ، تَعْزف أمامه بألحان محزنة ، وَجُنُدٍ يمشون أمام النعش ، على أنه لم يكن جُنْدِيا ولا ضابطا ، وما كان إلا تاجراً متوسطَ الحال ، ثم جيء بِحَمَلَةِ القماقم والمباخر ، وسار في مقدَّمة الجنازة فئةٌ من الرَّعَاع القذرين يُنْشِدون ألفاظاً غيرَ مفهومة ، وفي مُؤَخَّرَتِها نسوةٌ مُلَطَّخات الوجوه والأيدى بالطين و«النيله»،صائحاتٍ نائحاتٍ مُوَلْولاتٍ مُعْوِلاتٍ ، يُزْعِجْنَ المارَّة وَيقْبِضْنَ النفوس بمنظرهن الشنيع

الآنسة عديلة — إن جميع ما ذكرتِ قد أبطله العقلاء ، ولا يأتيه اليومَ إلا الجَهَلَةُ والغَوْغاء من الأُمة . ولقد شاهدتُ في طريقي منذُ يومين جنازة في غاية المهابة والوقار : هيَ نَعْش يَتْبعه المُشَيعون أفواجاً ، سائرين صامتين ، مُطْرقين كَأَنَّ على رؤُسهِمُ الطير . فياليت كلَّ الناس يحْذُون حَذْوَهم : إذِ الغرض من تشييع الجنازة الاعتبارُ بالموت والذكرى ، حتى تخشعَ القلوب ، وترجعَ الأنفس عن غَيِّها ، وتعلمَ أن الدنيا عَرَضٌ زائل ، وأن الآخرة خير وأبقى ، والعاقبة للمتقين .

﴿ الزار ﴾

ثلاثةٌ تَشْقى بها الدارُ العُرْسُ والمأتم والزَّارُ

السيّدة التي تفكر في الزار وتَهْتَمُّ بشأنه ، وتَعْقد له المُحْتَفَلاتِ ، بعيدةٌ عن التَّعَقُّل والرُّشد ، مُحَقَّرَةٌ عند الرجال العقلاءِ ، مُنْتَقَدة عند السيدات المهَذَّبات . فما أخجلها أن يُذكر اسمُها مقرُونا بهذه العادة الذميمة ! وإنَّ السيدة الكريمة العاقلة لا يصح أن تَشترِيَ بالمال الكثير أنواعَ المَصُوغات تَخزُنُها لوقت الاحتفال السَّنوى ، وتحتفظ بها في صُندوق مُغْلَق ، لعلمها أنْ لا قيمةَ لها إلا في ذلك اليوم المَمْقُوت . وما كان أجْدَرَها أن تشترىَ شيئاً مفيداً أو حُلِيًّا نافعاً ! والذى يَزيد هَول المصاب ، ما ينفَق لإعداد المأكل والمَشْرَب والذبائح لجماعات المدعوّات . فهل يليق بسيداتٍ يَحْترمن أنفسهن ويَخْشَيْنَ الله ، أن يَعقِدن أمثال هذه المحتفلاتِ التى يخرجن فيها عن سياج الوَقار والكرامة ؟

أَلا إِنَّ الزار يُزعِجُ الجيران ليلاً ونهاراً بطبل نعوذ بالله من صَدَاه : فهو يَصْدَعُ القلوب ، ويقْرَعُ الآذان ، ويُؤْذى الأَعصاب السليمة ، يَصْحَبُه تَرْنيم قبيح مَمْقوت ، يملأ القلوب المطمئنَّة فَزَعًا وَوَجَلاً . ألا ترى هذه الجاهلةُ أن الأُسْرَات مِنْ حَوْلها يطلبون الراحة فى سكون الليل البهيم وهى تحرمهم إياها بأقبح الوسائل ، وأكره المُنَفِّرات لِما يَجلِبُه من الضَّرر ، وما يستدعيه من التبذير والإسراف ؟ فما هو إلا شَرَكٌ يُنْصَب لِسَلْب الأَموال ، ووسيلةٌ من وسائل فساد الأَخلاق . ولا شىء أنفعُ لِعَصَبيَّات المِزاج من تبديل الهواء والاستراحة . وَيُسْتَشار الطبيب إذا دعت الحال

زيارة المقابر

من العادات الذَّميمة عند نساء مصر ، تردُّدُهُنَّ على المقابر والاهتمامُ بها : فإن المرأة إذا مات طفلها أو أحد أفراد أُسرتها ، لا تنْسَى أن تَتَوجَّه فى كل يوم جُمُعة إلى مَدْفَن

زِيَارَةُ الْمَقَابِرِ لَيْسَتْ مَسْنُونَةً إِلَّا لِلاعْتِبَارِ وَذِكْرَى الْمَوْتِ

الفقيد ، مُصْطَحِبَةً بعضَ قريباتها أو جاراتها، حاملةً الكثير من المآكل والمشارب ، للتصدق به على مَن يطوفون بالمدافن والجَبَّانات من الشحّاذين ؛ مع أنَّ معظم هؤلاء النّسوة أحق بما يُنْفِقْنَه فى عمل الفَطير والكعْك وشراء الفاكهة وغيرها من شَحَّاذى المقابر . هذا إلى أنهم ليسوا محلا للصدَقة ، ولا أهلا للإِحسان ، لاتخاذهم الشَّحذ حِرْفةً وذَريعةً للكسب ، لا لسدِّ الرَّمَق . فما أسْخَفَ ما تعمله النساءُ الجاهلاتُ من الذَّهاب أيامَ الجُمَع والمواسم والأعياد ، جماعات وزَرَافاتٍ ، يتعثَّرْن فى أذيالهن إلى المقابر ، كأنهن ذاهباتٌ لجلب خير أو جَرِّ مغْنَم . فما أقبحها مِنْ عادة مُسْتَهْجَنَة ، ليس فيها من فائدة للميت تَعُودُ عليه فى حياته الأُخْرَوِيَة !

على أن زيارة القبور ليست مسنونةً إلا للاعتبار وذِكْرَى الموت ، فإن الذكرى تَنْفَعُ المُؤْمنين

زيارة الأضرحة

عائشة — إنك يا فِردَوْسُ لم تكونى فى المنزل صبيحةَ أمْس ، لأنى ذهبت لزيارتك فلم أجِدْكِ ، فأين كنت يا صديقتى ؟

فردوس — كنت قد خرجت مع جدّتى لزيارة السيدةِ زينبَ كما هى عادتها : فهى تزور السيدة فى يوم الأحد ، وسيدَنا الحسينَ فى يوم الثلاثاء ، والمحمّدىّ فى يوم الخميس ، ولما كنت مريضةً فى الشهر الماضى ، نَذَرَتْ للسيدة حُزْمةَ شمعٍ ونصفَ ريال للصُّندوق إذا أنا شُفيت من مرضى ، وها قد تمّ لى ذلك فذهبنا لوفاءِ النذر

عائشة — وما فائدةُ هذه الزيارات للأولياء ؟

فردوس — تقول جدتى : إن هؤلاء هم أهل الخطوة ، وإن رضاهم عنا ينفعنا فى الدنيا والآخرة . ولذا فهى تتردَّدُ على أضْرِحتهِم وتُقَبِّل عتباتِهم وسِياجَ قبورهم ، وتتوسل بهم

زيارة الأضرحة

عائشة — إنك يا فِرْدَوْسُ لم تكونى فى المنزل صبيحة أمس ، لأنى ذهبت لزيارتك فلم أجِدْكِ ، فأين كنت يا صديقتى ؟

فردوس — كنت قد خرجت مع جَدَّتى لزيارة السيدة زينبَ كما هى عادتها : فهى تزور السيدة فى يوم الأَحد ، وسيدَنا الحسينَ فى يوم الثَّلاثاء ، والمحمَّدىّ فى يوم الخميس ، ولما كنت مريضة فى الشهر الماضى ، نَذَرَتْ للسيدة حُزْمَةَ شمع ونصفَ ريال للصُّندوق إِذا أنا شُفِيت من مرضى ، وها قد تَمَّ لى ذلك فذهبنا لِوَفاءِ النذر

عائشة — وما فائدةُ هذه الزيارات للأَولياء ؟

فردوس — تقول جَدَتى : إِن هؤلاء هم أهل الخطوة ، وإِن رضاهم عنا ينفعنا فى الدنيا والآخرة . ولذا فهى تترَدَّدُ على أضرحتِهم وتُقبِّل عتباتِهم وسِياجَ قبورهم ، وتتوسل بهم

لقضاء حاجاتها، وتفريج همومها، وإبعاد المصائب والأمراض عنها

عائشة — إن هـذا يا أختى لضلال مبين : فإن الذى يَقْضِى الحاجاتِ، ويفرِّجُ الهمومَ، ويُبْعِد المصائب ويَشفى الأمراض، هو الله جلَّ شأنُه، لاشريك له فى ملكه، ولا يصح أن نعتقد غير ذلك. وتقبيلُ الحجارة والعُمُدِ، وكذا التَّيَمُّن بالنحاس المصنوع منه السياج، والصِّياح بطلب قضاء الحاجات من صاحب الضريح، كل أولئك من الإشراك بالله.

فردوس — إذاً أنتِ تعتقدين أن هؤلاءِ الأَولياءَ كعامَّةِ الناس لا يمتازون عنهم بشيء!

عائشة — لا يا صديقتى : فإنهم يمتازون بصلاحهم وتَقْواهم ومُؤَلفاتهم الجليلة النافعة، ونصائحهم وإرشادهم فاحْترامُنا لهؤلاء الأَولياء هو باتِّباع نصائحهم الدينية والأَدبية، والاسترشاد بآرائهم السَّديدةِ وعِظاتهم البالغة لا غير، ولو علموا رَضِىَ الله عنهم بما يُصْنَع فى أضرحتهم من هذه المنكَرات لاسْتَقْبَحوه واستغفروا الله منه

الحُجُب والتمائم

سعاد — ما هذا الذى تحت إبطك يازينب ؟

زينب — هـذا حجاب أَلْبَسَتْنِيهِ أُمى يوم ولادتى ، ولمَّا كبِرتُ حذَّرتنى خلْعَهَ حتى وقت النوم

سعاد — ألم تسأليها عن السبب ؟

زينب — بَلى ، فقد قالت : إنه مات لها عشرة أطفال قبل أن أُولَد ، فأرْشدَتْها إحدى جاراتها إلي رجل ورِع ، يَعْتقدُ صلاحه وتقواه جميعُ أهل الخُط ، فكتب لهـا هذا الحجاب وأوصاها أن تُلْبِسنِيه عند ولادتى ، ولذا عِشت ولم أمت مثل إخوتى .

سعاد — وهل أعطته أمُّك شيئاً ؟

زينب — تقول إنها كانت تملِكُ سواراً من ذهب ثمنه ثمانية جنيهات ، فباعته وأعطت هـذا الرجل خمسة جنيهات لأنه لم يرض بأقلَّ من ذلك



هذا دجّال يحتال على ضعيفات العقول بكتابة الحجب والتعاويذ

سعاد — إذاً قد اشترت حياتك بخمسة جنيهات، ولولا ذلك لكنت فى جملة الأموات!

زينب — فَسَرى ما شِئْتِ، فالأمر كما أوضحته لك

سعاد — ما أقبحَ الجهلَ فإنه يُعمى الأبصار ويُلقى بصاحبه إلى التَّهْلُكة! ألا تعلمين أن الحياة والموت بإذن الله تعالَى وأن لكل أجَل كتاباً؟ وأن الله لا يُشْرِكُ فى حُكمه أحداً من عباده، حتى الأنبياء والمرسلين أنفسهم؟ فاعتقاد مثْل هذا مخالفٌ للشرع الشريف. ولولا الجهلُ الضارب أطْنَابَهُ بيننا لما وُجدَ أمثالُ هذا المحتال: هذا نوع من السلب والخديعة وَتَفَنُّنٌ فى الغش وسلب المال

زينب — إن كلامك لَمُؤَثِّر جداً، ولا سيما أن أُمى فقيرة، ولم يمكنها حتى الآن تعويضُ السوار

سعاد — الآن وقد كَبِرْتِ يازينبُ، وتعلمت وتبيَّن لك الحق، يَحْسُن أن تنزعى هذه التمائمَ ولا تُضحكى العقلاءَ منك، واجعلى ثِقتَك فى الله عز وجل، فهو علَّام الغيوب، يُحيي ويُميت، وهو على كل شئ قدير

زينب — انى أطيعك فيما تقولين: وهأنذا أنزع عنى

هذا الحجاب ، وسأخبر أمي بنتيجة هذا الحديث ، لتنصح جاراتها وأقاربها بعدم إتيان ما يماثل ذلك في المستقبل

قياس الأَثَر

ذهب رجل لزيارة أخته في منزلها فلم يجدها ، فسأل عنها ابنتها فقالت : إنها حملت ابنها الرضيع ، وذهبت لتقيس له الأَثَر ، لأنه مريض منذ عشرة أيام ، وهو يسعل سعالا شديدا ، وحرارة جسمه عظيمة . فقال الرجل : وهل عُرِض على الطبيب ؟ فقالت الفتاة : لا ، لأن أمي ترى أن لا فائدة في الطبّ والأطباء ، وقصرت همّها على العلاج بالطرق الوهميّة الخرافية : فأرسلت أخي ثلاثة أيام متوالية للمرأة التي تلحس الأطفال ، فلم تتحسن حالته ، بل انقلبت إلى أسوأ . ثم بخّرته ببخور البر والمصطكى وكناسة العطار ، فلم يجد ذلك نفعاً . فدعت الرجل الذي يمرّ على الأبواب قائلا إنه يخرج الدّود من أنوف الأطفال . فوضع يده على رأس أخي وصار



حملت ابنها الرضيع وذهبت لِتقبس له الأثر

يهمهم بكلام لم نفهمه ، فتساقط الدود من أنفه كثيراً ، وأنا لم أُصدِّق أن كل هذا الدودِ كان فى أنف أخى . على أن ذلك كلَّهُ لم يُثْمر . ولما أعيَت الحيلُ أمى ، ذهبت لمن يقيس الأثر، فاما رأى الولد ، أعطاها ثلاث ورقات مطْوية وأوصاها بتبخيره بها ثلاثَ مرات فى ثلاث ليال متوالية ، وقال لها : إنْ عاش بعد ذلك فأحضريه لأراه مرةً أخرى . وقد فعلتْ لأن هذا هو اليوم الرابع بعد زيارتها لهذا الدَّجال . فاماسمع الرجل ذلك الكلام خرج مُسْرعا ، واستدعى طبيبا . ولما عاد وجد أُخته قد رجَعت فسألها عن حال الطفل . فقالت : إنها سيئة وكلَّ يوم لا تزداد إلا وبالا ، وقد أعطانى الشيخُ عاشور ثلاث ورقات أُخرى وإنى قد يئسْتُ . فقال الرجل : إنكِ يا أختى قد جرَّبْتِ كل شئ إلا الطبيب . فأجابت : إنى لا أُحب الطب ولا الأطباء فإن والدتنا رحمها الله كانت دائمًا تنْهانا عن إدخال الطبيب منْزلَنا ، لانّ دخوله شُؤْم . فقال : يا أختى إنى قد استدعيت طبيبا إخصائيا فى أمراض الأطفال ، وهاهوذا جالس فى غرفة الاستقبال ، فلا تمانعيى

أن أعْرِضَ عليه الوالد ، لعلّه يصف شيئاً يُحسِّن حالته .

فقالت افعل ماشئت

ففحصه الطبيب ، واتضح له أنه مصاب بالحمّى ، وحالته مُخطِرَةٌ إن لم يُسْعَفْ بالدواء . فكتب تذْكِرَةً استحضرت على عجَل ، وأُعطِيَ الطفلُ الدواءَ على حسب إرشاد الطبيب : فانخفضت درجة حرارته ، وأخذَتْ حالتُه تتحسن شيئاً فشيئاً ، ونام تلك الليلةَ نوماً هادئاً . فلما رأت ذلك أمه واظبت على اتباع العلاج حتى شُفِيَ تماماً بعد أيام قلائل . فما كان أغنى هذه الأمَّ عن اتباع خُطُوات الجهل والتّعلق بأهدابه ! وما كان أوْلاها من أوّل الأمر أن تَدْرَأ المرض عن ولدها بالعلاج الشّافى

فعليكِ أيتها الفتاةُ العاقلة ان تَتّعظِي بهذا الحادث وما يُماثله ، إن فى ذلك لَعِبْرَةً لأُولِى الأَلْباب

مضارُّ تخويف الأطفال

كثير من البنات قد سمع كلمة « بعبع » مرارا وتكرارا ولكن لا يعرفن معناها . ولو قالت إحداهن (بعبع بعبع بعبع) بصوت عال لكانت كأنها تقلِّد صوت الجمل . وهذه هي الكلمة التي ارتعدت منها فرائِصُ الأطفال ، وسكتت بها الحِس، وربما تَشَنَّجَتِ الأعصاب . والسبب في شُيُوع هذه الكلمة ، أن أُمًّا من الأمهات الجاهلات بكتِ ابنتُها الطفلةُ الصغيرة ، فبَدَلَ أن تبْحَثَ عن سبب بكائها ، وتُعْمِلَ جُهْدَها في علاجه ، أحدثت لها هذا الصوت المُسْتَنْكَر ، مشفوعاً بقولها : هاقد جاء ليأكلك . فتتوهم الابنةُ حيواناً كاسِراً ، قد أتى ليغتال حياتها ، معتقدة صحة هذا الخيال الباطل ، لِأَنها طِفْلة ليس لها عَهْدٌ بالكذب ، فتسكت على مَضَض ، فترتاحُ الأُم غيرَ حاسِبةٍ أنها إنما تربى في ابنتها الخوف والرُّعب ، الذى ربما تحدث منه الوفاةُ فجأَةً

ومثل (البعبع) جميع الأفانين الباطلة التى تخترعها
الأمهات الجاهلات ، لتكون وسيلة سهلة لكبح جماح
الطفل ، والحيلولة بينه و بين أغراضه . إذ لا يعرفن لذلك
وسيلة أخرى ، فينشأ هيّابا وكلا ، خائر القوى ، يفزع
لصغار الحوادث ، ولا يقوى على مواجهة صروف الأيام



نعوذ بالله من الخوف والفزع

فأين هذه الأم من تلك الأم الراقية ، التى ترضع

طفلها مع الابن ثبات الجنان والشجاعة ، فلا تجعل للخوف والفزع سبيلاً إلى فؤاده ؟ ألا إنها بذلك تعده لملاقاة الشدائد ومقارعة صروف الدهر ، وبمثله تعز الأمة ويشتد ساعدها ، ويحمى حماها

دعاء الأم على أولادها

* بين رجل وزوجته *

الرجل — لماذا كل هذا السخط وهذا الدعاء على ابنتك ؟

الزوجة — لقد زهقت روحي منها وهي لا تسكت ولا تهدأ

الرجل — وماذا عملت ؟

الزوجة — إنها تعاكس أخاها الصغير فيصرخ ويتألم

الرجل — وهل تعمل هذا دائماً ؟

الزوجة — هي لا ترجع عن معاكسته وخطف ما بيده فيكثر من الصخب وتعلو الضوضاء

الرجل — وهل وجدتِ أن دعاءك عليها على هذه الكيفية الشنيعة ، وصُراخك فى وجهها ، وإزعاجها ، يرجعها عن غَيِّها ، فتنتهى عن أعمالها هذه ؟

الزوجة — كَلَّا ، فإنها تزداد عِناداً : ولقد سئمتُ العيشة معها

الرجل — الحمد لله قد تبين لك أمرٌ كان خَفِياًّ عليك .

الزوجة — وهل هى تعمل ذلك لأنى أشتِمُها وأَدعُو عليها ؟

الرجل — لا ، بل إن غرضى أن تفكِّرى فى شىء ناجع غير هذا السبِّ واللعن . فلو جئتِ إليها بهدوء ، وأفهمتِها بأسلوب لطيف ، أن عملها هذا مع أخيها غيرُ محمود ، أَولو عاقبتِها بأخذ لُعبتها منها أو حِذائها الجديد ، أَو بحرمانها من فسحة معك ، لكان أنفعَ . فإذا هى استقامت وحَسُن سلوكها فى معاملتها له ، فردِّى إليها ما أخذتِ ، وارفعى عنها ملامك وعقابك ، بشرط أن تفهم أَن مثل هذا العقاب واقعٌ بها إن هى عادت

الزوجة — هذه ابنة لا ينفع فيها شىء

الرجل — جرِّبى ما أقول ترتاحى . وإنى آسِفٌ إذْ سمعتُها يوما وقد أغضبها أخوها تدعو عليه بكلام مثل الذى نسمعه منك . فأنتِ مثالٌ غيرُ حسَنٍ لها . هذا إلى أنَّ هذه الشَّتيمةَ الكريهة هى لغة لا تفهمها هذه الطِّفْلة ، ولا تؤثِّر فيها مطلقاً ، فأمامَك أحد أمرين : إما عقابها بنحو ما قلت ، وإما أخذها بالحيلة ، وأما هـذا الدعاء فيَحُط من كرامتك بين الناس . والسيدةُ الأُوربية تدعو ابنتها ، وتوقفها أمامها ، وتكلمها في ذنبها بما تفهمه ، وتبينُ لها عيوبها ، وتُهدِّدها إن دعت الحال ، وتُنفِذُ فيها عقابها . وكل ذلك يؤثر فى الطفل إذا تم بنظام وتَعَقُّل

﴿ الأُختان ﴾

كان لأحد الناس ابنتان ، ربَّى كُبراهمـا بالمنزل ، فلا تعرف غير الطبخ ، والكنس ، والمسح ، وخدمة البيت . وكان للصغرى حظٌّ الذَّهاب إلى المدارس ، فتعلمت القراءة

والكتابة والحساب ، ونالت الشّهادة ، ثم دخلت مدرسة المعلمات ، فحصلت على شهاداتها أيضاً ، وصارت مُدرِّسة بإحدى مدارس البنات . وكان أبوهما يجلس إليهما ، ويُنْصِت لِما يدور بينهما من الحديث والمباحثة . فيقع النِّضال والخلاف بينهما بحكمة ما بين عقلَيْهما من التباين ، فكان كثيراً ما يُصلح بينهما . فدار الحديث يوماً كما يأتي :

الكبيرة — إن ابنتي منذُ رأتها بائعة التُّفاح ، لم تُفِقْ من المرض ، فكأنَّ عينها سهم قد أصاب أحشاءها !

الصغيرة — لا يا أُختي أنت تظلمين هذه المرأة ، وإنما الذى أمْرَضَ ابنتك هو البلح الذى أكلته

الكبيرة — كلّنا يأكل البلح وكل الأطفال تأكله ، فهذا سبب غير صحيح

الصغيرة — إن الأطفال الصغار يجب ألّا يُكثروا من أكل البلح ، لا سيما غير الناضج منه . ان ابنتك لا يمر بائع بالباب حتى تستوقفهُ وتشتريَ من مبيعاته القَذِرةِ ما يُفسد مَعدتها ، وأنت تساعدينها على ذلك

الكبيرة — هل تنكرين العين ، وقد مَرِضْتِ يومين

بعد ما خَرَجَتْ من عندنا جارتنا وابنُها ، وكنت لابسة ملابسَ جميلة ، وتتكلمين بأفصح عبارة عن مدرستك وراتبك فيها ؟

الصغيرة — أنت واهمة يا أختى : فإنى لم أمْرَضْ إلا من تساهلى بعد الخروج من الحمّام الحار . فقد لبست بسرعة لأُقابل هذه السيدة ، وقعدت أمام النافذة وكانت مفتوحة ، فحصل لى ما حصل . فيجب أن تبحثى دائماً عن الأسباب الحقيقية وتَطْرَحِي الأوهام

الكبيرة — هذا لا يمكن ، ولا أرجع أبداً عن التبخر بالبَخُور كل ليلة لمحاربة العين الخبيثة

الصغيرة — إن هذا البخور جميل الرائحة ، ومن خواصه أنه يُدْفِئ المحل ، فترتاح الأجسام إليه وإلى رائحته . فهذا سِرُّ البخور وليس له تأثير فى العين كما تعتقدين . هذا وإنى متكدرة لعدم كنس البيت وتنظيفه يوم الجُمُعة ، وهو اليوم الذى يرتاح فيه والدنا فيجده قَذِراً

الكبيرة — يستحيل أن نكنُسَ يوم الجمعة لأن هذا حرام

الصغيرة — إن اعتقادك هـذا هو الحرامُ بعينه . ولا يليق أن نجلس والغرفُ من حولنا قذرة ، لاعتقاد لا قيمة له . نعم يحسن أن نجتنب العَجْن والغَسْل فى يوم الجمعة ، ولكن لا لهذا المعْتَقَد الفاسد ، بل لأنه يوم راحة للجميع ، وفيه يكون والدنا معنا طول النهار .

الكبيرة — بنات المدارس لهنَّ أفكارٌ غريبة ، فلا يُصَدّقْنَ بملائكة تَنفِر من الكنس ، ولا بعفاريتَ تسكنُ البيوت ، بل لهن تأويلُ شَتَّى فى ذلك

الصغيرة — من العيب يا أختى وقد بَلَغت هذه السن أن تخافى من وجودك وحدك بالمطبخ لَيْلاً خَشْيَةَ العِفْرِيت ، وأغرب من ذلك أنك تَصْحَبين ابنتك الصغيرة لتحميك منه ، ولا تستطيعين الذهاب بدونها ! فهل يَعجِزُ عفريتُك الوهمىُّ أن يضرَّكَ وهى معك ؟ مِسْكينة هذه الطفلة تُبثّين هذه الفكرةَ في ذهنها من الصغر فتكبر معها كما كَبِرَت معك ! فلا عفريت يَشُقُّ الحائط فيظهر منه ، أو يخرج من الأرض فيَخْطَفَ الناس . ولم نسمع أن حادثاً كهذا قد وقع اللّهُمَّ إلا فى الأقاصيص الخرافية . فإن كنتِ لا تُشفقين على

نفسك من هذه الأوهام، فارحمي ابنتك، ولا تُلَقّنيها إيَّاها

وما زالت الفتاة المتعلمة تُلقي على أختها الجاهلةِ أمثالَ هذه الدروس، حتى نجحت في إخراجها من الظلمات إلى النور، والله يَهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ السعادة المنزلية ﴾

ما لذةُ العيش بكثرة المال، ولا تَعَدُّدِ الخدم والحَشَم: فكمْ مِنْ منزل لا يَرُوقك مَنْظَرُهُ، وهو في الحقيقة جامعٌ لأسباب الراحة وهناءةِ العيش والسعادة. وكم من قصر مُنيفٍ تُرَى عليه آياتُ الجلال والجمال، تَكْنُفُهُ الحدائق الغَنَّاء، وتجرى من تحتها الأنهار وتُغَرِّد على أفنان أشجاره الأطيار، تَخْضَع لربه رقابٌ وتَعْنو له وُجوهٌ، ولكنه قد حُرِمَ هو وأفرادُ أسرته لَذَّةَ الحياة ونعيمَ العيش

أتعرفين أيتها الفتاة مَنْشَأَ السعادة فى البيت الأول على حَقارته، وسبَبَ التَّعْسِ فى الثانى على اتساعه وعظمته؟ إن معظم السبب يرجع اليك فى كِلْتا الحالتين. فربَّة البيت

هى بمثابة الرُوح من الجسد: فكما أن الروح هو الذى يَنْشُرُ الحياة في الجسم، كذلك السيدة فى منزلها، فهى رُوحهُ الذى به يحيا، والنور الذى يَسْطَع، فيُضئ كل ركن من أركانه. وهى له أيضاً كالقلب للجسم: فإذا سكنت حركته انقطعت الحياة. ولا يَعْمُرُ، ولا يُسْعَد أهله، ولا تنتظم شؤونهم، إلا إذا كان مشمولا برعاية سيدة عاقلةٍ ناضجة الفكر سَدِيدَة الرأى. وعلى نسبة عقلها وتدبيرها تكون درجة ارتقائه وانتظامه: فإن كانت السيدة مُثَقَّفَةَ العقل، نشيطة مُدَبِّرَةً، حَسَنة التصرف فى مالها وَخَدَمها وَعَشيرتها كان لمنزلها من وراء ذلك من أسباب السعادة والراحة، ما يُغْبَطُ عليه مهما كان صغيراً حقيراً، وكان هذا مُشَجِّعاً لزوجها على احتمال المصاعب والمتاعب فى سبيل العمل فى معترك الحياة. أما الكسلانة النَّؤُوم، المعتمدة على الخدم، المُبَذِّرةُ لمالها، التى لا همَّ لها إلا التزَيُّنُ والوقوف أمام المرآة واستقبال الزائرات وردُّ الزيارات، فبيتها مُهْمَلٌ قَذِرٌ، وأولادها فاسدو الأخلاق لعدم من يُراقب شؤونهم ويلاحظ أَحوالهم

النَّفْسِيَّة ، اللهم إلا الخدم وهم على ما نعلم من سُقُوط الآداب وانحطاط النفوس

ومن نتائج هذا الخلل العام أيضاً أنَّ ربَّ البيت يكره أن يأوِيَ إليه ، لأنه ليس جامعاً لأسباب راحته : فلا يجد الطعام حين يطلبه مثلا ، وإذا دخل غرفة ألفاها قَذِرَةً غير مرتَّبة ، لإهمال السيدة أمْرَ الخدم ، والقِيامَ عليهم ، لاشتغالها بأمر نفسها ، وإفراطها في تدبير شخصها

فحَذَارِ حذَارِ أيتهـا الفتاةُ من مثل هذا . وادأبى على العمل بنفسك ولا تُهملى ، فَرُبَّ إهمالٍ جرّ وبالاً . ولا تَرْكَنى إلى الخدم ، واسلـكى سبيل الهمة والرشاد تفوزى برضا الله والناس أجمعين . ولمثل هذا فلْيعمل العاملون

﴿ الاستقلال المنزلى ﴾

نبيـلة — هل تزورك فريدةُ كثيراً ؟

زينب — نعم تزورنى كثيراً ولـكن لا أرد لها زيارتها لأنى غير راضية عن سلوكها معى

نبيلة — ولماذا ؟ إنى أعلم أنها تحبك حباً جمًّا

زينب — لقد عرفتها ذات وجهين : تُظهر المحبة أمامى ثم تتكلم بما يُؤْلمنى فى غيابى

نبيلة — أظنك مخطئةً يا زينب ، أو ربما أوْقعَ بينكما من يَحْسُدكما على صداقتكما

زينب — لا بل بلغنى ما تقول ممن لا أشك فى صدق روايته . وقد كنت أُرسل إليها فى طلب بعض الأَشياء المنزلية : وما كان ذلك إلا لامتناع التكاف من بيننا ، وما كان لهذه السيدة من المكانة فى نفسى ، فكانت تقابل عملى هذا بالانشراح

نبيلة — وهل كانت فى كل مرة تبعث إليك بما تطلبين؟

زينب — نعم ولكن كانت كلما ضمّها مجلس تقول إنها متضايقة جدًّا من مطالبي الكثيرة . وكانت تَهْزَأ بى وتَسْخَر . فإذا كانت معى لا تَدَّخر وُسْعاً فى ملاطفتى ومؤانستى !

نبيلة — حقًّا إن هذه أخلاق لا تليق بالسيدات

الطيبات . فكان ينبغى أن تستر لك هذا العيب ، لأن استعارة الأشياء المنزلية في رأيي عيب ونقص ، وليس أحلى من الغنى عن الناس

زينب — ولكنها هى التى كانت تسهّل لى هذه الاستعارة ، فلا تسألى عن مقدار عجبى من انقلابها وتغيّرها

نبيلة — إن المرأة المنافقة ذات الوجهين ضارة جداً ، ويجب الاحتراس منها والابتعاد عنها . ولكنك يازينب كنت مخطئة فى هذه الاستعارة

زينب — وماذا كنت أعمل وأنا فى حاجة إلى كل هذه الاشياء ؟

نبيلة — من النساء من تفضل أن تبقى فى حاجة عن أن تقترض ولو من أختها . وقد كان بالاقتصاد يمكنك الحصول على كل ما ينقصك شيئاً فشيئاً

زينب — إنى أقرض جارتى أحيانا شيئاً من العسل أو البن أو المخلّل أو غيرها

نبيلة — إني لا أنظر الآن إلى جارتك بعين الاحترام :

إذ ليس من اللياقة أن تُزعج الواحدةُ جارتَها كل يوم بمثل هذه المطالب . أما الهدية فلا بأس بها . ولقد كنا نتعلم الاستقلال المنزلي في المدرسة بطريقة لطيفة : إذ كانت إحدانا إذا طلبت نَشَّافَةَ الأخرى أو قلمها أو مِسْطرتها مثلا منعتها معلمتنا ، وحتَّمَت أن يكون لدى كل تلميذة جميعُ أدواتها . فهي بذلك تنبهنا إلي فضيلة الاستقلال المنزلي

الجنة تحت أقدام الأمهات

عمّتي من أعرف السيدات بالواجب عليها نحو زوجها وأولادها وبيتها . فهي لذلك سعيدة محترمة محبوبة : تقوم في الصباح مُبَكّرة والكل نِيامٌ ، فتتحرك بتُؤَدة وهُدُوءٍ حتى لا يَشعُرَ بها أحد . ثم تذهب فتُصلِح من شأنها وتصلّي . فإذا حان الوقت أيقظت أولادها بلطف لأنها تخشى عليهم الانزعاج ، فإذا قاموا واشتغلوا بإعداد أنفسهم للخروج كلٌّ إلى وِجهَتِهِ ، شرعت تهيئ لهم طعام الإفطار ، فيجلسون جميعاً على المائدة فيأكلون ويتحادثون بكل فكيهةٍ مُسْتَمْلَحَة



الجنة تحت أقدام الأمهات

فإذا خرجوا وتركوها وحدَها أخذت في ترتيب الأثاث وتنظيفه . ثم تتفرغ للطبخ ، فتجهِّز الطعام بيدها مع الحرص على نظافة ملابسها . فإذا تم الطعام أعدّت نفسها لاستقبال زوجها وقد رجع من شغله تَعِباً مجهوداً . فيرى الدار ساكنة هادئة ، نظيفة ، مُرَتَّبَة . فإذا جلس للطعام لايسمع إلا أحاديث سارَّة وأقوالا مُرِيحة ، فلا شكوى ولاعتاب ولا تَضَجُّر . ثم تتولى بعد الغداء تنظيف المائدة وغسل الأواني ، ثم تستريح . فإذا رجع أولادها من المدرسة ، استقبلتهم بالبشاشة والهَشَاشَة ، ونظرت في أمر راحتهم سائلة كُلاًّ عما تمَّ له في يومه الدِّراسي . فإذا جَنَّ الليل رفرَفَ على بيتها السلام وشَمِلَتْهُ السعادة . وهكذا الأمهات الصالحات، وبمثل هذا تكون الجنة « تحت أقدام الأمهات »

فى الحكايات

العِبرَة بالأدب

أعلنت مديرة أحد المستشفيات الكبرى بأورُبَّا حاجتها لفتاة متعلمة، لتساعدها فى الأشغال الكتابية الخاصة بالمستشفى، وحددت مَوْعِدًا لفحص العرائض. فتقدم لهذه الوظيفة فتيات من جهات مختلفة. وفى الميعاد المحدد، جلست المديرة مع اثنتين من طبيبات المستشفى في إحدى الغرف وفحصْنَ هذه العرائض، وقابلْنَ الطالباتِ واحدةً فواحدةً فلما انتهين منهن جميعاً، قالت المديرة : إن اختيارها صادف الفتاة فلانة. فسألتها إحدى الطبيبتين عن سِرّ هذا الاختيار مع أن هناك مَنْ هُنَّ أفضل منها. فأجابت بأنها فضَّلَتْهَا لِمَا لَحَظته فيها من الآداب ورُقِيِّ الأخلاق : فانها قبل أن تدخل الغرفة نقرَتِ الباب نَقْرَةً خفيفة استئذانا. ثم دخلت ولم تترك الباب مفتوحاً كما فعلت كثيرات قبلها، ثم أقبلت



زاغٌ مفتُونٌ برِيش الطاوُس

فما أسخفه !

علينا بأدب وابتسام ، ولما صادفت فى طريقها هذا الكتاب الذى كنت قد طرحته على الأرض قصداً لم تتخطّه كما فعل غيرها ، بل رفعته من طريقها ، ووضعته على المكتب بأدب واطف . فلما خاطبتُها وتأملتها رأيتُ أنها نظيفةُ الثياب جداً ، نظيفةُ الأسنان ، مُقَلَّمَةُ الأظافر . هذا إلى أنه قد اتضح لى من محادثتها أنها رزينة، تبدو عليها علامات الحِشْمة وسِمات الوقار . فكل ما قدمتُه من الأوصاف مميزاتٌ تمتاز بها . أليس كذلكِ ؟ فأقرت الطبيبتان رأيها واستحسنتا الاختيار ، وفازت الفتاة بفضل آدابها وجميل خصالها

مصاحبةُ غيرِ النُّظَرَاء

يحكى أن زاغا * صادف ريش طاوُس فلبسَه وطار ، حتى إذا رأى سِرْباً من الطواويس انضم إليه ، مُوهِماً أنه واحد منهم . ولما خالطَتْه الطواويس وتبين لها حقيقة أمره ، وعرفت أنه دخيل فيها ، انْقَضَّت عليه ، ومزقت بمناقيرها

* هو غراب صغير يميل الى البياض

ذلك الرداء المستعار ، ولم يتمكن الزاغ الغِرُّ من النجاة بحياته إلا بشِقِّ الأنفُس . ثم أراد الرجوع لجماعة الزِّيغان التى كان عائشاً فيها من قبل ، ولـكنها كانت قد عرَفت ما أتاه ذلك الأحمق المفتون ، وأنه أراد أن يَترَفَّع عن البيئة التى نشأ فيها . ولـكن هَيْهَاتَ أن يصل إلى بُغْيَتِه : إذ رفضته وأبت كلَّ الإباء أن تقبله ، قائلة له : إن عودتك الينا لم تكن حُبًّا لنا ولا رغبة فينا ، بل هى الضرورة ألجأتك ، فاغْرُب عنا وإلا أجْهَزْنا عليك . فذهب المسكين وعاش حقيراً ذليلا ، ونحل جسمُه ، وتساقط ريشه من الذُّل والوَحْدة ، فمات حزنا وَكمدًا . وهذا عقاب المغتر الذى تحدثه نفسه أن يهجر أهله وخِلاَّنه الأقدمين ، متطلعاً لمعاشرة مَنْ هُمْ أرقى منه شأناً وأعلى مكانةً ، فلا هو مقبول فى الثانية ، ولا حافظٌ مكانته فى الأولى

فعلى الفتاة ألا تنظر إلى مَنْ هُنَّ أرقى منها ثروةً أو جاهاً ، وتتخذ لنفسها منهن مثالاً تَنْسُجُ على منواله فى إعداد ملابسها ، وتُحمِّلُ أهلها فى شرائه وتَهيِئَتِه مالا طاقة لهم به ،

ثم تنضمُّ إلى السيدات المُثريات اللاتى لا تجمعُها وإيّاهن أواصرُ نَسَبٍ ولا لُحمَةُ قرابة ، وذلك للرغبة فى الصّيت الكاذب ، وحبِّ الفخفخةِ والعظَمة الباطلة ، فتُصبح بذلك منبوذةً ملفوظة مُحتقَرة وتكون موضع السُّخرية بين الناس أجمعين

الرِّيبةُ وسوءُ الظّن

عاشت عُصْفورتان فى صدق ووفاء ، ومحبة وإخاءٍ ، مدةً من الزمان . فخرجت إحداهما ذات يوم إلى أحد البيادر ، فجمعت قمحاً كثيراً ملأت به العش ، وقالت لأختها : إن ما نَخزِنُه اليوم فى وقت الرخاء، ينفعنا غداً وقت الشدة والعناء ، فقالت لها نِعمَ مافعلتِ ، والعاقل من يُعِدُّ للأيام عُدَّتَها حتى لا يُمدَّ يده بالسؤال والمَسْكنة . واتفقتا على ألاّ تأكلا من هذا القمح شيئاً . وكان القمح نَدِيًّا فامتلأ به العش . فلما جاء الصَّحْوُ جفَّ فصغُرَ حجْمُه ، وظهر أقلَّ مما كان عليه من قبل



عُصْفُورَتَانِ فى صِدْقٍ ووفاء

فظنت أن صاحبتها قد أكلت منه فى غيابها ، فأقبلت عليها تلومها وتُعَنِّفُهَا ، فأقسمت لها أنها لم تقرَبْه قط ، وأنها على وعدِها لها ، فلم تصدّقها ، وما زالت فى لومها وعتْبها حتى ضاقت صاحبتُها ذَرْعاً وكرِهَتْ المُقام معها ، فغادرت العشّ وما فيه ، وانطلقت هائمةً على وجهها . وبقيت الأخرى وَحيدَةً كئيبة حتى جاء يومٌ ممْطِرٌ ، فابتَلَّ القمح ورجع إلى حالته الأولى . فأدركت الحَمْقاءُ خطأها وعرَفتْ عاقبةَ سوءِ الظن ، فأقبلت على نفسها باللوم والتعنيف والبكاء والنحيب إلى أن ماتت .

صداقة الحيوان

عِندى قِطَّةٌ بيضاءُ ناصعٌ لونُها تَسُرُّ الناظرين ، ولها ثلاث هُرَيْرَاتٍ تُرْضِعُها وَتَتَعَهَّدُها ، وتراعيها كما تراعى الأم العاقلةُ أطفالها . ولبياضها الناصع سميّتُها « ياسمِينة » وهى تحبنى وأحبها : فكلّ يوم عند حلول ميعاد عودَتى من المدرسة تستقبلنى على باب المنزل ، وتُقْبِل علىّ ، وتقفز على كَتِفِى ،



صداقة الحيوان

وتلاعبني بلطف وائتناس . وإذا أمسكتُ رجلها لا تؤذيني بمخالبها ، لأنها تعرف أنى أشفق عليها . أما طعامها فخبز مفتوتٌ فى اللبن . ولا أعطيها شيئاً من اللحم ، لئلا تعتادَ أكله ، فتصير وَحْشِيّةً كالحيوانات المفترسة

وَمِن غريب ما حدث لى مع « ياسمينة » أننى كنت مريضة يوماً من الأيام فانقطعتُ عن المدرسة . فلازَمَتنى ولم تَبْرحْ غرفتى غيرَ دقائقَ معدودة ، وصارت تَحوم على سريرى وتقف أحياناً عند رأسى ، ولم تتناول من الغذاءِ أثناء النهار إلا قطعة صغيرة من الخبز وكلما وضعوا لها طعاماً أعرضَتْ عنه على خلاف عادتها ، فكأنها من بنات آدمَ لا تَشْتهى الطعام عند شعورها بغَم أو حزن

ولما أبْلَلتُ من مرضى وقمت من فراشى ، صارت تجتهد بما لديها من الوسائل أن تُدْخلَ علىّ السرور : فأخذت تأتى بضُرُوب الوَثْب والمُلاعبة ، والدّوَران حول نفسها مُتابِعَةً النظر إلى ذيلها، وهلم جرّاً . وسيكون لِهَذِه القِطّة عندى من جميل الذكرى مالا أنساه طولَ حياتى

تِلْـكُنَّ أيتها الفَتيات حالة قطة مع ابنـة صغيرة ،
نشأت بينهما الألفة والمحبة ، بفضل حسن المعاملة وجميل
المعاشرة . فليـكن لـكُنَّ من هـذا المثال موعظة حَسَنَة فى
إكرام الحيوانات العُجْم والإشفاق عليها والرفق بها . فإن
فيها لنا منافعَ جَمَّة ، ولا ينبغي أن يُقابلَ الجميل بالإساءة .
إنّ فى ذلك لعبرةً لِأُولى الأَلباب

الرفق بالحيوان

إن بعض الناس ممن فُطِرَت قلوبهم على الشدة والغِلْظَة
يعاملون الحيوان معاملةً قاسية ، حاسبين أن هذه العَجْماوات
لا تَشعُرُ ولا تتألم : لذلك أُسِّسَتْ فى القاهرة جمعيةٌ للرفق
بالحيوان . ولها فروع فى المُدُن الـكبيرة بالقطر المصرى .
وغرَضُها حماية الحيوان من الأذى والضرب وسوء المعاملة،
وتـكليفهِ مالا يُطيق من الأعمال . وإنا لنرى الدَّوابَّ من
خيل وبغال وحَمير فى شوارع المدن الـكبرى مُثْقَلَة بما



الرِّفْقُ بالْحَيَوان

« إِيَّاكِ أنْ تُؤْذِي حَيَوانًا أوْ تُجِيعِي طَائِرًا أوْ عُصْفُورًا »

لا طاقة لها به ، وبعضها مريض أو جريح أو عطشان . ولا يَنْفَكُّ صاحبها أو سائقها مع ذلك يضربها ويُؤذيها بأنواع الإيذاء . والسبب فى ذلك راجع إلى الجهل والقساوة . فالجمعية تباشر فى مثل هذه الأحوال معالجةَ الحيوان ، وتُزَوِّدُ المالك أو السائق النصائحَ والإرشادَ فى معاملته ، وتُفْهِمُهُ ضرورةَ مُرَاعاة الرفق به والشفقةِ عليه . وإذا رأَت الجمعيّةُ أَن الحيوان قد عذب فإنها تكون سبباً فى عقاب الجانى . وللجمعية جملة موارد للماء منتشرة فى المدن الكبيرة ، لسَقْيِ الدَّوابّ وإطفاءِ ظمَئِهَا ، كما أن لها مستشفى فسيحاً فى القاهرة

فجزى الله المؤسسين والقائمين بهذا العمل الخيرىّ أحسن الجزاء . فإياكِ أيتها الفتاة أَن تُؤذى حيواناً بالضرب أو التعذيب ، كأَن تضربى قِطّاً أَو تجيعى طائراً أَوعصفوراً . أو تُهملى تقديم الماءِ له . واعلمى أَنّ الحيوان إِذا جاع أو عَطِشَ أو تألم ، فإنه لا يمكنه التعبيرُ عما يُخالج فؤادَه من ذلك كما هو شأنُ الإنسان الذى خصَّه الله بالعقل واللسان. فتعذيبُ الحيوان يُوجب غضَبَ الله والله شديد العقاب . وقد جاء فى الحديث الشريف « عُذِّبَتِ امرأةٌ فى هِرَّةٍ

سَجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها إذ حَبَستها ، ولا هى تركتها تأكل من خَشاشِ الأرض»

مكسب شريف

حديث بين فلاحة و بنت بلد

الفلاّحة — تعَالَىْ فانظرى دَجاجى فعندى ثلاثون دجاجة ، ربَّيْتها منذ كانت أنفاقاً ، فأصبحت الآن تَبيض

بنت البلد — لله ما أجمل منظرَها ! وكيف كَبِرَتْ ولم يمت منها شيء ؟

الفلاحة — لم أتعب فيها كثيراً ، ولكننى كنت حَرِيصةً عليها جدًّا . وذلك أننى كنت أُخْرِجُها فى شمس الشتاءِ الدَّفِئة اللذيذة ، وأقعد بجانبها أهُشُّ عليها بعصا خفيفة ، أراقب الحِدَأَ ، فهذه شَرُّ أعدائها ، ثم كنتُ أَنثُر لها ما أُعِدُّهُ مِنْ غذاءٍ من أرز أو قمح أو جريش أو غير ذلك . وما أحلى منظرَها حين أرمى لها قطعة صغيرة من ورق الخس أو غيره من الُخْضر !

بنت البلد — إنك ضيَّعْتِ بجانبها وقتاً طويلاً

الفلاّحة — لا . لم أُضيع وقتى سُدًى ، لأنى أنتفع الآن ببيضها ، لأن عشرين دجاجة منها تبيض كل يوم ، وأبيع البيض كلَّ أربع بقرش

بنت البلد — ولكن ربما لا تجدين مَنْ يشتريه

الفلاَّحة — إنى أبيع البيض كلَّ يوم أو يومين لأناس عرفونى وأدركوا فىّ الأَمانة والصدق . فلم أحاول يوماً أن أُغشَّهم ببيض مَذِر

بنت البلد — وهل تبيعين لهم شيئاً غيرَ البيض ؟

الفلاحة — أبيع لهم الحمام أحياناً . تعالىْ معى أُرِكِ مكانه

بنت البلد — هذا حمام كثير جداً . ولا بُدَّ أن يكلفك فى تغذيته وتَعهُّده مالاً طائلا

الفلاحة — هذا عكس الواقع . وهو أقل نفقة من الدَّجاج ، لأنه كما تَرَيْن في بُرْج مفتوح . فهو يطير إلى الحقول والبيادر ، يأكل منها ويشرب من الجداول . ومكسبه عظيم لأنى أبيع كلَّ زوج منه بخمسة قروش

بنت البلد — إنك على جانب كبير من الذكاء ، وتعرفين



وَاللهِ لَقَدْ أَحْبَبْتُ مِنْكِ تَرْبِيَةَ الطُّيُورِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَشَوَّقْتِنِي إِلَيْهَا

الطرق الشريفة لكسب معاشك بكدك وجدك . فهل عندك شيء آخر ؟

الفلاحة — عندى بط ، وهو الآن فى البركة هذه التى ترينها بجانب الدار . وهو دائماً فى الماء ، لأنه يحبه حباً جمّاً ، ولا يخرج منه إلا للأكل ، وما دام فى الماء فهو فى غاية الصحة والنظافة

بنت البلد — هل يلِدُ فراخه الصغيرةَ وهو فى الماء ؟

الفلاّحة — إن البط لا يلد ، وانما يَبيض كالدجاجة . ويبيض عندى فى المنزل ، لأنى فى المساء أسوقه إليه . والتى قَرُبَ ميعاد بيضها أحجُزها فِي الصباح ، فلا تخرج مع الباقى وإذا اجتمع مقدارٌ صالح من البيض حَضَنَتْهُ إحداهن ، ثم تخرج منه الفراخ تمشى وراء أمها

بنت البلد — ما أجمل الصغارَ منه ! ولكن ألا تخافين عليها من الغرق ؟

الفلاحة — ألا تسمعين فى مصر المثل السائر « ابن الوز عوّام » ؟ فإنه إذا صار فى الماء يعوم ولا بأسَ عليه

بنت البلد — وهل تبيعينه أيضاً ؟

الفلاّحة — أرسِلُ منه مع أبى فى كل شهر أربعاً إلى سوق البلد ، فتباع الواحدة بسبعة قروش أوثمانية

بنت البلد — ما أهنأ حياتك أيتها العاقلة العاملة النشيطة ! والله لقد أحببتُ منك تربية الطيور المنزلية ، وشوّقتِنى اليها ، فَسَأُقلّدُكِ وأجرّب

الفتاة الفلاّحة

فى إحدى قرى الريف بالقرب من مدينة الزقازيق ، ضيعة لأحد أعيان مصر المقيمين فى القاهرة . فذهب ذلك السَّرِىُّ يوماً لتَفَقُّد حالتها ومزروعاتها ، وأخذ معه ابنتيه . وكانت إحداهما واسمها « حنيفة » تلميذة فى السنة الرابعة بالمدرسة السنية ، والأخرى وهى الصغرى واسمها « جليلة » تلميذةً فى مدرسة الأمير عبد المنعم

ولما وصلوا جميعاً إلى الدار المُقامة بالقرب من الضَّيعة ، ونَفَضوا غُبار السفر ، وغسلوا وجوههم وأيْدِيَهم ، خرج الرجل لمقابلة شيخ البلد ووكيل الزراعة والعمال ، لاستطلاع آرائهم

ومفاوضتهم فى شئون الأرض، وما تم فى أمر المحصول. أما حنيفة وجليلة فاستأذنتا والدهما فى التنزه قليلا فى المزارع والعودة بعد ساعة. فأذن لهما فى ذلك. وكان إذ ذاك أوان ازدهار الفول، ورائحة أزهاره الجميلة تنبعث منه، وتختلط بالنسيم العليل البليل فتحدث سروراً وانشراحا عظيمين.

وبينما هما فى الطريق، إذ بفتاة فلاحة فى ريعان شبابها ماشية لابسة ثوبا من نسيج أسود، واسع الكمين، عاصبة رأسها بمنديل أحمر، أما قدماها فكانتا حافيتين وعلى رأسها إناء من صفيح، عليه غطاء من ليف. فاستوقفتاها، وبعد التحية سألتاها عن اسمها. فقالت اسمى «مبروكة» فدار بينهما الحديث كما يأتى:

حنيفة — ما هذا الذى تحملينه على رأسك يامبروكة؟ وأين تذهبين؟

مبروكة — هذه صفيحة مملوءة لبنا، وإنى ذاهبة بها إلى منزل عمى

جليلة — وما تعملين فى هذا البلد؟

مبروكة — إننى أحلب الجاموسة، وأساعد أمى فى عمل الزُبْدة والسمن والجُبْن ، وأحمل الغداء لأبى وإخوتى كل يوم فى الحقل . ثم أحمل أختى الصغيرة وألاعبها حين تكون أمى مشغولةً فى طبخ العشاء . وعندى دَجاجتان أطعمهما وأضع لهما الماء فى الطَّاجن ، وآخذ بيضهما كل يوم

حنيفة — هل ذهبت إلى القاهرة فى حياتك يا مبروكة ؟

مبروكة — ذهبتُ مع والدى وأمى مرة ، وقد فرَّقنا الزِّحام فى شارع الموسكى ، وضاقت نفوسنا ، وأخيراً تقابلنا بالقرب من مسجد سيدنا الحسين

حنيفة — تعالَىْ معنا وأقيمى فى القاهرة ، فإن الحياة فيها جميلة، ولنا منزل كبير مُضاء بالنور الكهربائى ومفروش بأحسن الفُرُش ، وعندنا كثير من الخدم والمآكل الطيبة ، والملابس الحَسنة ، ولنا عربة خاصة نستريض فيها فى بعض الأوقات

مبروكة — لا يا سيدتى ، أشكر فضلك. إننى لا أُحب أن أعيش إلا هنا فى دارنا . وهى وإن كانت صغيرة بسيطة ، أفَضّلها على غيرها . وليس شىء يَسُرُّنى مثلَ الهواء الطلْق ،

ورؤيةِ المزارع الخضراء والماء يجرى فى وسطها . فنحن الفلاحينَ مِثلُ الطيور لا نألف إلا الحريّة ، ولا نُحب عيشة المدن ، لأننا نشعر ونحن فيها كأننا محبوسون فى قفص .

جليلة — نعم والطير لا يحب القفص ولو كان من ذهب. فأنتم مَعْشَرَ الفلاحين تفضّلون القرى على المدن ، لأن المدن ضيقة فى نظركم ، وفيها زحام وضَوْضاء لا يروقانِكم

مبروكة — نعم يا سيدتى ، ولا سِيّما العربات الكثيرة التى منها ما تجره الدواب ، ومنها ما يمشى وحده بالنَّفَس . ولما كنا فى مصر فى تلك المرة رأينا عربة من هذا النوع ، وأردنا أن نركبها إلى العباسية حيث دار العمدة فى مصر. فجعل أبى يشير إلى السائق بالوقوف فلم يقف

جليلة — إنك تقصدين عربة الترام التى تسير بالكهرباء إنها لا تقف إلا فى محطات معينة

حنيفة — وأظنك يامبروكة حَمِدْتِ الله عند عودتكم من مصر إلى هنا بالسلامة . بارك الله فيك فإنك فتاة طيبة ، نشأْتِ وَديعَةً ورضِيت بحالتك ، بل فضَّلْتِها على كل حالة سواها . أَمسيتِ بخير.

ثم عادتا لأبيهما ، وقصّتا عليه ما وقع لهما مع تلك الفلاحة ، فقال لهما : إن ما عليه الفلاّحون من الجِدّ والنشاط ، والدأب في العمل والقناعة ، لهو أساس ثروة القطر المصرى وعُمرانه ، ولو توانَوْا أو تكاسلوا فى أعمالهم ، والتفتوا للتَّرَف والكماليّات ، وأهملوا مراقبة مزارعهم ، وتركوا العناية بها . وطرحوها وراءهم ظِهْريًّا ، لمات الزرع وجَفَّ الضَّرْع ، ولأَصبحت مصر أرضاً بَلْقعاً قفْراً ، وأمسى سكانها فقراء تاعسين كأهل البادية . فلا رَيْبَ في أننا مَعْشَرَ الحَضَريين مدِينون بحياتنا ورَفاهتنا لهؤلاء القرويِّين : فإنهم مَصْدَرُ سعادتنا ورَخائنا ، وعلينا أن نكافئهم بحُبِّنا لهم ، وعمل ما فى وُسْعنا لإسعادهم ، وتوفير أسباب الراحة والهناءة لهم

لا تَحْكُمى بالظواهر

مرّت معلمة وتلميذتها أثناء استراحتهما بقصر فخْم ، تكْنُفه حديقة فَيْحاء ، تَنْبعِثُ منها روائح تُنْعش الفؤاد ،

وتَشَرَحُ الصدر ، وأرضُها مفروشة بالرمل الأحمر الجميل، وعلى سِياجِها تُطلّ الأزهار بألوانها البديعة ،من ورد وفُلّ وياسمين. وعلى باب القصر خادمان ينتظران سيدهما ، وأمامَه عربة ذلك السيد ، وهى فى غاية النظافة والطّلاوة . يجرها جَوادان مُطَهَّمان . أما السائق فحدِّثْ عن جميل ثيابه ولا حَرَج . فجرى الحديث الآتي بين البنت ومعلمتها : —

الفتاة — ما أجْمَلَ هذا القصرَ وأسعدَ ساكِنيه ! ياليت لنا مِثْلَه !

المعلمة — لا تحكمى يا ابنتى بالظواهر ، فقد يكون سكانه على اتساعه وجماله غيرَ متمتعين به لسبب لا نعلمه : كأن يكون بعضهم مُصاباً بمرض عُضال ، أو مُنَغَّصاً بالفِراق أو الحزن أو الدَّيْن ، أو ما شاكل ذلك . وقد يكون لساكن الكوخ منْ لذة العيش ماليس لصاحب القصر . فطالما سمعنا أن غنيًّا أصيب بمرض ، فتمنى لو يبرأُ منه ولو حُرِمَ كلَّ ماله ، وأصبح لا يملك قوت يومه . والعِبْرَة ليست بالظواهر ، وسبحانَ مَنْ يعلم ماخفِيَ وما ظهر . نعم فى الدنيا كثير ممن مَنَّ الله

عليهم بالثروة والجاه، فعاشوا عيشة راضية مُرْتاحِى البال، مطمئنّى النفوس لا يَعْتَوِرُ صفاءهم كدرٌ وَلا نَغَص. وفيها أيضاً فريق يملكون المال الكثير، والضياع الواسعة، ولكن لديهم من أسباب النكد الخفى ما يجعلهم فى عذاب أليم، فأولئك يُغْبطون فى الظاهر، ولكن حالتهم فى الواقع تستوجب الرأفة والشفقة، وأمثالهم فى الدنيا كثير فما أحْسَن الفَقْرَ مع السلامة!

وبينما هما فى الحديث إذا برجل أعمى قد خرج من ذلك القصر وبيده عصا يتوكأ عليها، يقوده خادم، فأجلسه فى العربة. فقالت المعلمة لتلميذتها يظهر أن هذا يا ابنتى صاحبُ القصر بما فيه، فهل ترغبين أن يكون حَظك من الدنيا مثلَ حظه؟ فقالت الفتاة ولِمَ لا؟ فإنه متمتع بهذا النعيم، وله من الجوارى والخدم عدد كبير، وهذه دلائل الثروة الطائلة، فلا شك أنه يأكل أحسن الأطعمة وألذها، وَيَلْبَسُ من الملابس أفخَرَها، وهل للانسان وراء ذلك مطمَع؟

المعلمة — ولكنه أعمى لا يرى من جمال هذا القصر

ما تَرَيْنَه ، ولا فى عزة الثروة وكثرة الخدم ما تتخيَّلينه ، ولا هو متمتع برؤية البستان ، وما احتواه من بديع أنيق ، وجميل رشيق ، فهو محروم نعمةَ البصر ، ويالها مِنْ نعمة مَنَّ الله بها علينا ! فبها نرى ما يحيط بنا من الأشياء ونفرّق بين الغَثّ والسمين ، ونعرف العدوّ والحبيب وننجو من العثَرات ، ونأمن الزّلات ، ونقرأ الكتب القيمة ، والمؤلفات المفيدة ، لتستنير عقولنا بما حَوَتْه من علم ناضج ، ورأى سديد ، وحكمة بالغة ، قال تعالى فى فضل نعمة البصر : « واللهُ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لا تَعْلَمُونَ شيئاً وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ والأبصار والأفْئِدَةَ لعلكم تشكرون »

الفتاة — لك الشكر يا معلمتى على ما هَدَيْتنى إليه من الرُّشد ، وإننى أحمَدُ الله على هذه النعمة العظيمة

المعلمة — إذاً لا تَغبطى أحداً على حالته الظاهرة ، وارضَىْ بما قَسَم الله لك ، واقْنعى بما أولاكِ ، واشكريه على آلائه ، قال تعالى « لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكم وَلَئِنْ كفرتُم إنَّ عذابى لَشَديد »

« حَذارِ من الطَّيش والنَّزَق »

كان الجهل منذُ ألفَى سـنة مُخيِّماً بعقول الناس ، إلا النَّزْرَ اليسير ، ممن خَصَّهم الله بنور التفكير والحكمة ، فجال بخاطر الشَّعب الرُّومانى أن يَثُور على حكومته ، فثار نفر كبير منهم في الطُّرُقات منادين بالخروج على الحكومة ، قائلين : إنها تُثقِلُ كاهل الأَهلين بالضرائب ، وتختص بما تبـتَزُّهُ من المال أفراداً يتمتعون به وغيرهم في شقاء ونَصَب . فلما وصلوا بِمَوكبِهم إلى ساحة المدينة الكبرى ، توسَّطَ الجَمْعَ شيخٌ بلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا ، وكان متَّصفاً بين قومه بالعقل والحكمة والعلم ، محبوباً محترماً ، حنَّكته التجارب وعركَتْه الأيام ، وزاده وقاراً لحيتُه البَيْضاء المُرْسَلَة . فقال مخاطباً زعيمَهم : أراك تجمع شَمْلَ الناس ليثوروا على الحكومة . قال نعم . قال أفتأذنُ لى أن أقص عليكم حكاية مأثُورة ، نقلها الخَلَف عن السَّلف ؟ قال قُل وأوْجِز . قال الشيخ : زعموا أن أعضاء



توسط الجمع شيخٌ بلغ من الكبر عتيًّا

الجسم ثارَت مرة على المَعِدَة لأنها تَلْتَهِم كلّ ما يَدخلها من الأطعمة؛ مع أنها لا تعمل شيئًا ؛ بينما باقى الأعضاء تُؤدّى جميع الوظائف والحركات ، والأعمـال البدنية ، وليس لهـا نصيب من تلك المآكل والمشارب . فلما وصل الشيخ إلى هذا الحد من الحكاية صاح أكثر الحاضرين مُحبّذين هذه الثورة ، لأنها قائمة على حجة قوية وسبب معقول : إذ اليد تدْأَب فى العمل والحركة ، والقـدم تسعى ، والعين ترى ، واللسان يُعَبّر ، والأسنان تطحن ، والأذن تسمع ، فمـا للمعدة سبيلٌ للدفاع ؛ وعليها تقع تَبِعَةُ هذا الحِرْمان . فقال الشيخ : هل علمتم بِمَ دافعت المعدة عن نفسها ؟ قالوا لا قال: انها لما سمعت ما نُسِبَ إليها من الظُلْم والحيْفِ ، نظرت إلى الأعضاء مبتسمة هادئة ، وقالت : ياقوم لو فكرتم فى الأمر مليًّا لَتَبَيَّنْتُمْ أنكم فى دَعْواكم مُخْطئون ، وفيما تَنْسبُون اليَّ مَخْدوعون ، فما أنا إلا خادمة لكم مُسَخرة لهضم الأطعمة وفصل طيبها من خبيثها ، وتوزيع الطيب عليكم ، كلٌّ وما يَصْلحُ له ، ولولا ما أجريه من الهضم والتنظيم، لاختَلَّ أمركم وفَسدت حالكم ، فلا تَغْتَرّوا بالظواهر ، بل كونوا منها على

حذر ، ولا تتسرَّعوا إلى الْحُكم ، ففى التَّسرُّع كلُّ الشَّطط. فأَقْنَع هذا أعضاءَ الجسم وأخذوا يعتذرون عما فَرَطَ وأَقْسَمُوا ألا يُسيئوا الظَّنَّ بالمعدة بعد ذلك . قال الشيخ : تِلْكُم يا أولادِي حالُكم مع حكومتكم ، فانها تجمع الضَّرائب لتُنْفِقَها في سبيل المنافع العامة ، لحفظ النظام ، وإِقامة العَدْل، وتشييد معاهد العلم ، وحَفر التُرَع واقامة الجسُور ، وتمهيد الطُّرق، وَصَدّ الأعداء عنكم ، إلى غير ذلكم مما لولاه لأصبحت حالكم فَوْضى ، لا تأمنون معها على أرواحكم ، ولا أعراضكم ولا أموالكم ، بل لكنتم إِلى الوحوش الضارية أقرب . فلما سمع القوم هذه الحكاية ، استيقظوا من غفْلتهم وَعَلِمُوا أن النار التى كانوا يلعبون بها كادت تُحرقهم ، وتوقِعُهم فى أشد المهالك . فاستَمَعوا لأقوال هذا الحَكيم البليغ ، وأَنْصَتُوا وعَمِلوا بوصيته الغالية

فويْلٌ للطائشين الذين يأخذون الأمور على ظواهرها ، ويسيرون فى أقوالهم وأَعمالهم من غير تَبَصُّر ولا تفكير فى عاقبة ما يفعلون « أولئك هم الأخسرون أعمالا الذين ضل سَعيُهُم فى الحياة الدنيا وهم يَحسبُون أنهم يُحسنون صنعاً »

في الأناشيد

﴿ أُنشودة طفل عند نومه ﴾

نام طفلى نام طفلى معَهُ قَلْبي وَعقلِي

ناظِراً حِينَ المنامْ نحْوَ وَجْهِي بابْتسامْ

رَدَّدَ الطَّرْفَ إلىَّ إنه مال عَلىَّ

وغفا يُمْسِك ثوبى إنه يُمْسِك قلبى

يا «سَعاداتُ» احمِليه وعلى الفرْش ضَعيه

وخُذيه بتأنٍّ وله سَمِّى وغَنِّي

يا مَليحَ الوجه يابْنِي صغت من طَرْف وحُسنِ

نَمْ إلى سَجْعِ الحمامْ فى أمانٍ وَسَلامْ

حاطَكَ اللهُ الكريمْ ولك الخيْرَ يُديمْ

ما شدا الطَّيرُ وناحا واكْتَسَى الزَّهْر صباحا

لُؤْلُؤَ الطَّلِّ وِشاحا وبِطِيب النَّشْر فاحا

﴿ نشيد الصباح ﴾

يا مَرحبـاً جاء الصـباحْ والليل كالمهزوم راحْ
والديكُ في النُّيَّام صاح يشدو بحَيَّ على الفلاح
ويُسبِّحِ اللهَ الـكريمْ

يا بِنتُ هُمّي تُحْمَدِي وَبِخيرة الناس اقتَدي
وعن المكاره فابْعُدي وإلى المكارم فاهتدي
نحوَ الصِّراطِ المستقيمْ

هَلاَّ نظرتِ إلى الأقاحْ والوردِ حين زكا وفاحْ
والطَّيرِ إذْ غنَّى وناحْ والطَّلِّ في الأوراق لاحْ
فكأنه الدُّرُّ النظيمْ

قومي إذا الشمسُ بدتْ والوُرْقُ في الروض شَدَتْ
مَنْ عملَتْ واجتهدَتْ تقـدّمت وأفلحتْ
فالفوزُ بالجِد العظيمْ

يا ربِّ يامولى النعم يامَن يُعلّمُ بالقلم
منك الهدَى منك الكرم منك الشفاء من السقَم
وبك الملاذُ المستديمْ

«الحنان والأمل»

أحبكَ أحنو عليكَ — فأنت ضياء العيون

نمال فقلبي لديكَ — مُقيمٌ إلى أن تَجيني

حرامٌ عليَّ المَنام — إذا ما مَرِضتَ وتَشْكو

حرام عليَّ الطَّعام — وما أنت تَنْمو وتزكو

فأنت عزاءُ النُّفوسِ — إذا الدَّهرُ يوما يَخُونُ

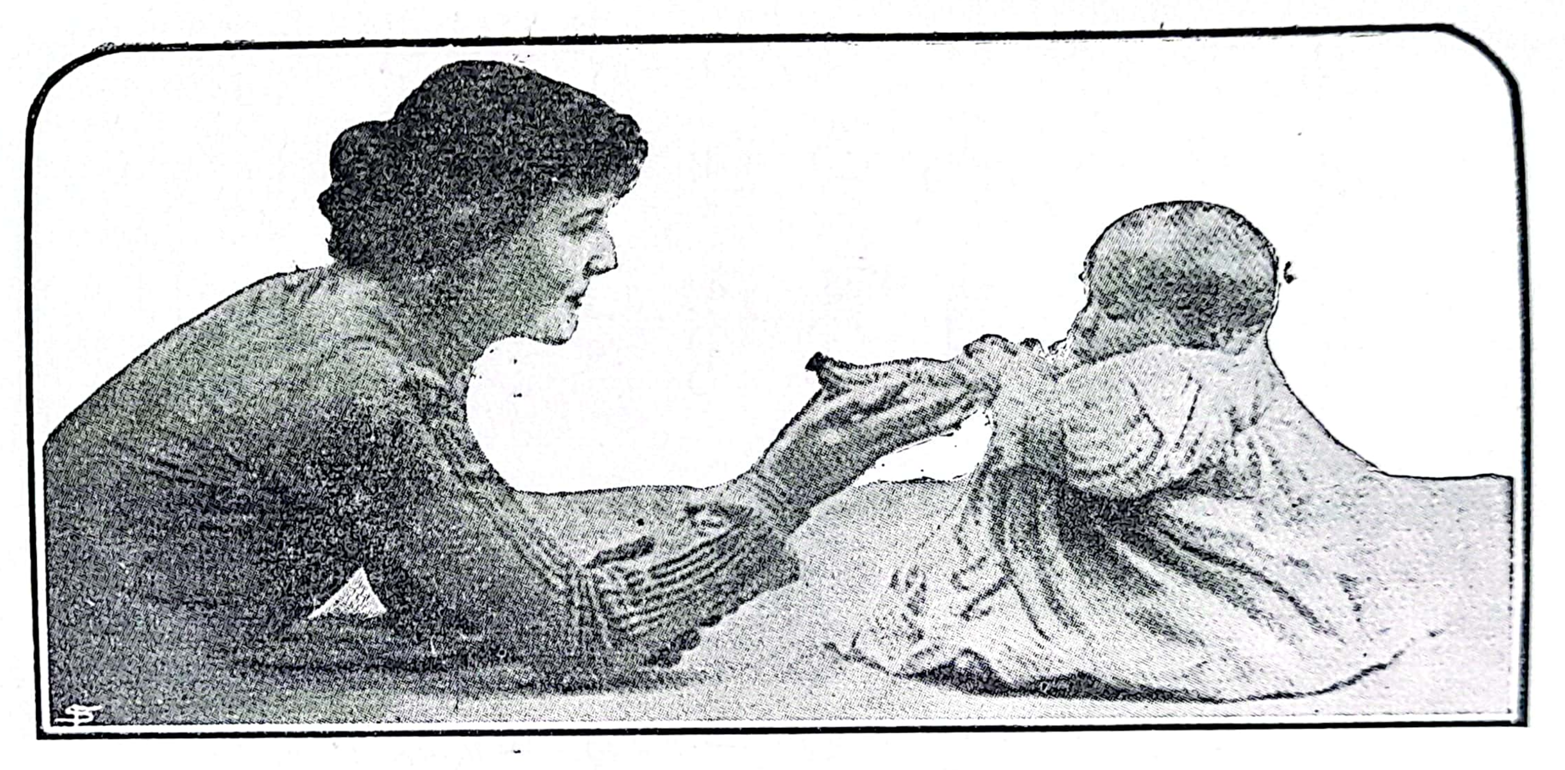
وأنت بيَوْمٍ عَبُوسِ — تُفَرِّج همًّا يَكونُ

شبيهكَ في الروض زَهْرُ — إذا ما سَقَتْه الغُيُومُ

وَيَحْكيكَ في الجوِّ بَدْرُ — حوَاليه تَزْهُو النُّجومُ

ستَبلغ شأْوَ الرجال — يُعينك رَبُّ السماء

ويارَبِّ حَقِّقْ سُؤالى — فأَنت سميعُ الدُّعاء



الحَنانُ وَالأَمَلْ

﴿ فى العجلة الندامة، وفى التأنِّى السلامة ﴾

« القُبَّرَةُ وابنُها »

رأيتُ فى بعض الرِّياض قُبَّرهْ — تُطَيِّرُ ابنها بأعلى الشجرهْ

وهى تقول يا جَمالَ العُش — لا تعتمد على الجناح الهشِّ

وقفْ على عُودٍ بجنب عودى — وافعل كما أفْعَلُ في الصُّعودِ

فانتقلَتْ من فَنَنٍ إلى فَنَنْ — وجعلتْ لكل نُقْلةٍ زمن

كى يستريحَ الفرخُ فى الأثناءِ — فلا يَمَلُّ ثِقَلَ الهواءِ

لكنَّه قد خالف الإشارهْ — لمّا أرادَ يُظْهِرُ (الشَّطَارهْ)

وطار فى الفضاء حتى ارتفعا — فخانه جناحُهُ فوَقعا

فانكسرتْ فى الحال رُكبتاهُ — ولم يَنَلْ من العُلاَ مُناهُ

ولو تأنىّ نالَ ما تمنى — وعاش طولَ عُمْرِهِ مُهَنَّا

لكلّ شيء فى الحياة وقتُهُ — وغايةُ المُسْتَعْجِلين فَوْتُه

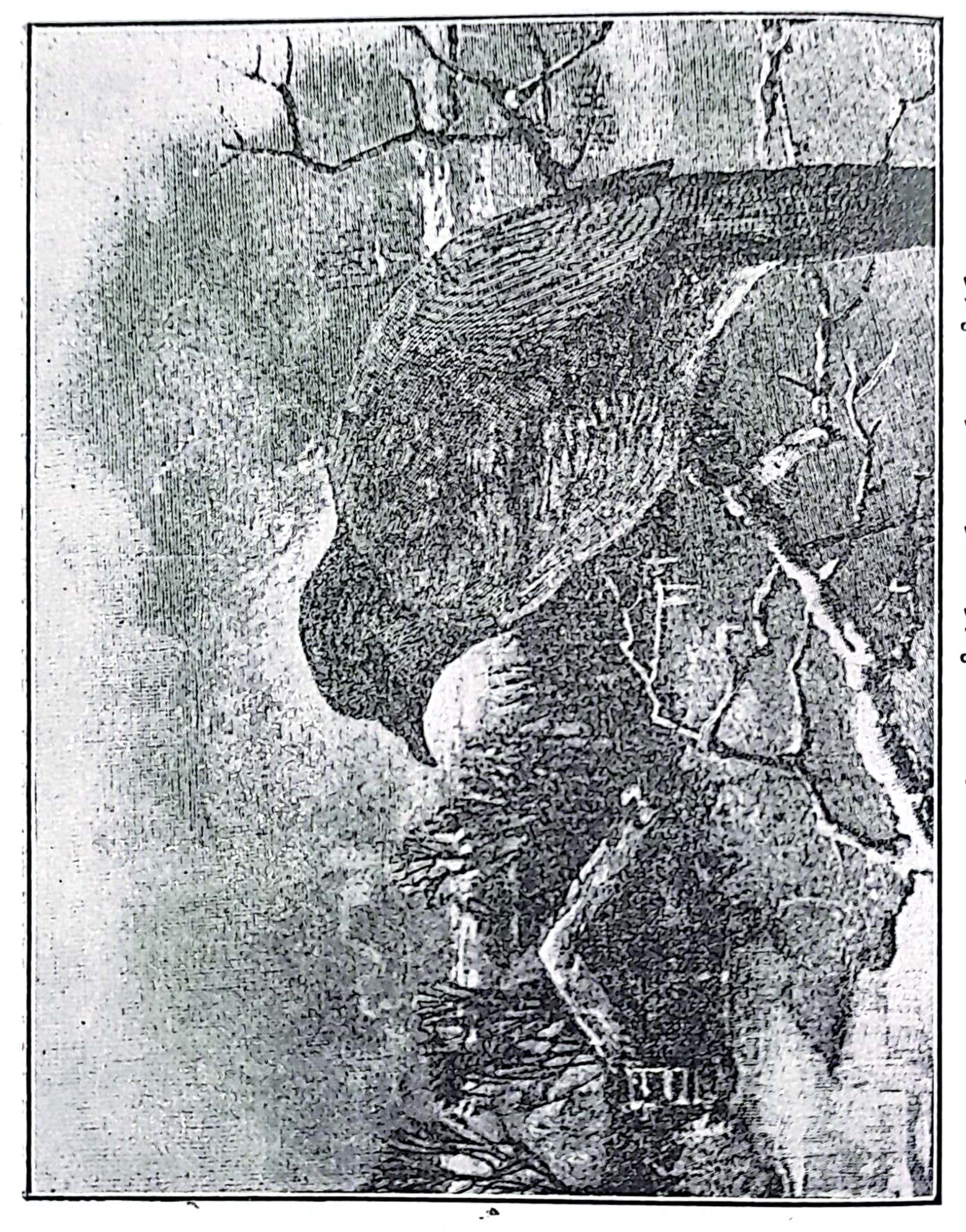
« الشوقيات »

﴿ إن كان الكلامُ من فِضة ، فالسكوتُ مِن ذهب ﴾

« اليمامةُ والصياد »

يَمامةٌ كانت بأعلى الشجرهْ آمنـةً فى عُشّها مُستَترهْ
فأقبل الصيادُ ذاتَ يومِ وحام حوْلَ الرَّوضِ أيَّ حوم
فلم يجِـد للطيرِ فيـه ظِلاّ وهَمّ بالرحيل حـين ملاَّ
فبرَزَتْ من عُشّهَا الْحَمْقَاء والْحُمْقُ داءٌ ماله دواء
تقول جهْلاً بالذي سيَحْدُثُ يا أيها الإنسانُ عَمَّ تبحثُ
فالتفتَ الصيادُ صَوبَ الصوتِ ونَحوَهُ سدَّدَ سَهمَ الموتِ
فسقطت من عرشِها المسكين ووَقَعَت فى قَبضَةِ السكين
تقول قولَ عارفٍ مُحقّق
ملكتُ نفسِي لو ملكت مَنطِقى

« الشوقيات »



مَلَكْتُ نَفْسِي لَوْ مَلَكْتُ مَنْطِقِي

تراجم بعض مشهورات النساء

« بَلْقِيسُ ملكةُ سَبَأ »

اشتهرت بلقِيسُ بقصَّتها المعروفة مع سليمان بن داود عليهما السلام ، وورد ذكرها فى القرآن وغيره من الكتب المنزلة . ذلك أنه كان لها مُلْك عظيم واسع الأطراف ، حاضِرَتُه سبأ فى بلاد اليمن . وكان لها من المجد والسُّلطان ، والعز والشرف ، ما يُضرب به الأمثال ، حتى قال بعضهم : إنه كان تحت نفوذها أربعُمائة مَلِك ، يَستَظِلُّونَ برايتها ، لكل منهم جَيش يبلغ أربعين ألفَ مقاتل . وأما عرشها الوارد ذكره فى القرآن الحكيم ، فقيل إنه كان سَريراً ضخماً من ذهب وفِضة ، مرَصَّعاً بالجواهر الكريمة ، وكان فى جوف سبعة بيوتٍ عليها سبعةُ أغْلاق ، كل بيت داخلَ الآخر ، وهو فى آخرها . وقيل كان مُقَدَّمُه من الذهب ، مُحلًّى

باليَاقوت الأحمر والزُّمُرُّد الأخضر ، وَمُؤَخَّرُهُ من فِضة ، مكلّلا بأنواع الجواهر واللآلئ . ولعل فيما تقدم من الوصف مبالغةً عظيمة ، إلا أنه يَدُل على أن ذلك العرش لم يَسْبِقْ له مثيل فى الجمال والأُبَّهَة . وأما حكايتها مع سليمانَ فإنه عليه السلام لما سمع بصِيتها وأوصافِ عرشها قال : « يا أيها الملأُ أيكم يَأْتِيني بِعَرشها » فجاء الهُدهُد ، وكان قد عرَف مكان بلقيس فأخبره بخبرها ، ودله على مكانها ، فكتب لها سليمانُ كتاباً وقال للهدهد : « اذهَب بكتابى هذا فألقِهْ إليهم » فوافاها وهى في قصرها ، فرمى الكتاب فى حِجرها ، فقرأته فإذا به « بسم الله الرحمن الرحيم ألاَّ تَعْلوا علىَّ وأْتونى مُسلمين » فأخبرت قومها بأمر هذا الكتاب فقالوا : « نحن أُولوا قُوَّة وأُولوا بَأْس شديد والأمرُ إليكِ فانظُرى ماذا تأمرين » . قالت : إنى مُرْسِلَةٌ بهدية ، فإن قَبِلها مَلِكُهم فهو من ملوك الدنيا فنحن أعزُّ منه وأقوى ، وان لم يقبلها فهو نَبِىٌّ من عند الله» .فلما قَدِمَ الوَفْد على سليمان ومعهم الهَدية ، ووقفوا بين يديه ، نظر إليهم بوجهٍ طَلْق ، ثم قال: « أَتُمِدُّونَنِ



المَلِكُ سُلَيْمانُ يَسْتَقْبِلُ بِلْقيسَ مَلِكَةَ سَبَأ

بمالٍ فما آتانيَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم » ثم ردَّ الهدية . فرجع القوم وأخبروها فعلمت أنه نبي كريم . وشَخَصَتْ إليه في مَوْكِبٍ مَهِيب ، مَحْفوف بالجلال والعظمة ، وجيء إليه بعرشها ، ثم دعاها إلى الاسلام فأسلمت ، وقيل إنه تزوجها ، وتُوُفِّيَتْ قبله فدفنها بالشام

﴿ آسيةُ امرأةُ فرعون ﴾

إن فرعون طَغَى وبَغَى ، وتكبَّر وتجبَّر ، حتى بَلَغَ من قَسْوَتِه وغِلْظَتِه وسفَاهَة رأيه ، أن أمر بذبح كل من يُولد فى زمانه من الصّبيان ، لأن كَهَنَتَه أبلغوه أنْ سيُولد فى أيامه ولد ، يكون سبباً في تقويض عَرْشه ونزْعِ ملكه ، وإحلال المصائب والبلوى به . فجعل يُثكل الأمهات ، ويُحزن الأسرات ، من غير مبالاة . وكان لفرعونَ امرأةٌ هى غاية فى الرحمة والشفقة ، نهاية في العَطْفِ والإحسان ، اسمها آسية . وكان يحبها حباً جماً ، لكمالها ودَماثة أخلاقها . فكم دفعت بلاءً وَدَرَأَتْ مصائبَ ، وبدّلت العُسر يُسراً ، حتى كانت رحمةً للعباد فى زمن فِرعَونِ الفراعنة ، وداهيةِ الدواهى :

من ذلك حادثُ سيدنا موسى عليه السلام : فقد جاء في الأنباء أنه بينما كانت آسية جالسة في حديقتها الغنّاء ، وروضتها الفيحاء ، تجرى من تحتها الأنهار ، إذا بتابوت قد أقبل عائما على المـاء يجرى الهُوَينى ، حتى صار منها قابَ قوسين أو أدنى . فأمرت جواريَها بإخراجه ، لاستطلاع أمره ، والوقوف على خبره . فلما فتح إذا داخله مولود كريم ، بَهِىّ الطلعة مَليح المُحَيَّا . فحرك منها عوامل الحْنان ، وتملكها من أجله الرّفق والإشفاق . فأمرت به أن يُحمل إلى داخل القصر ، يُتَعهَّد بالعناية ويُشْمل بالرعاية . وما عتَّم خبره أن ذاعَ فأمر به أن يقتل. فحالت دونَ ذلك آسية ، وشفَعَت له عند فرعونَ . وما زالت به حتى استَحْياه (ليكون لهم عدُوًّا وحزَنًا) ورُبّىَ فى داره حتى بلغ أشُدَّه ونال منه ما نال. ويقال إن آسية هذه كانت ممن آمن بموسى فيما بعدُ ، فأدرك فرعونُ منها ذلك فانقلب عليها وتبدّل حبه لها عداء ، ولكنها لم تكن تعبأ به ، لمـا كانت تعـلم من أنها على الحق فلم يغرُها منه رخاء ، ولم يجتذبها إليه وعد ، بل ولم يهددها منه وعيد ،

وقد رُوى فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم «خيرُ نساء الجنة خديجةُ وفاطمة ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون»

تُماضر الشهيرة بالخنساء (١)

وَفَدَت على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها فأسلمت معهم . وكانت أشعرَ أهلِ زمانها ، وهى من المعترَف لهن بالفَوْق فى هذا المَيْدان . وأكثر شعرها فى رثاء أخوَيْها مُعاويةَ وصَخْرٍ . وكان معاويةأخاها لأمها وأبيها ، وكان صخر أخاها لأبيها ، وأحبَّهما إليها . واستحق صخر منها ذلك لأنه كان موصوفاً بالحلم ، مشهوراً بالجود ، معروفاً بالإقدام والشجاعة ، مَحفوظاً فى العَشِيرة ، وقد كان من أجمل رجال العرب . فلما قُتل جلست الخنساء على قبره زماناً طويلا ، تَبكيه وترْثِيه بأبلغ ماقال الشعراء فى الرِّثاء.وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعَرَ منها . وقال أحد كبار الشعراء مرة : لم تقل امرأةٌ قط شعراً لا يَبِين الضَّعفُ

---

(١) الخنساء البقرة الوحشية

في شعرها . فقيل له أو كذلك الخنساء ؟ فقال : تلك فوق الرجال . وقد قابلتها عائشة زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد ما مات أخوها صخر ، وهى محزونة محلوقة الشعر ، تَدِبُّ من الكبر والضَّعفِ على عصا ، فسألتها عائشة : ما دعاك إلى هذا إلا صَنائِعُ من جميله فصفيها لى . قالت نعم : ذلك أنَّ زَوجى كان رجلا مِتْلافاً للاموال يقامِرُ بالقِداح ، فأتلف فيها ماله ، حتى بقينا على غير شيء . فأراد أن يسافر ، فقلت له أقم وأنا آتى أخى صخرا فأسأله ، فأتيته ، فشكوْتُ إليه حالَنا وَقِلَّة ذات أيدينا ، فشاطرنى مالَه . فانطلق زوجى فقامر به فَقُمِر ، حتى لم يَبق لنا شيء . فعدت إليه فى العام المقبل ، أشكو إليه حالنا ، فصار لى بمثل ذلك ، فأتلفه زوجى . فلما كان فى الثالثة أو الرابعة ، خلَتْ بصخر امرأتهُ فعذَلَتْهُ ، ثم قالت : إن زوجها مُقامِر وهذا مالا يقوم به شيء ، فإن كان ولا بُدَّ من صِلتَها فأعطها خُمس مالك ، فإنما هو مُتْلف والخير فيه والشر سيّان . فلم يَرْضَ صخر بذلك ، بل شَطَرَ ماله شَطرين ، وأعطانى أفضلهما . فلما مات أصبحتُ على ما تَرَيْنَه

ولما قَدِمَت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم استنشدها فأسلمت ، واستنشدها فأنشدت ، فأُعْجِبَ بشعرها وهو يقول : هِيهِ ياخنساء ! ثم انصرفت . وكانت صادقة الوطنية باسلة : ذلك أنه لما سارت جيوش العرب لفتح بلاد فارس ، انضمت إليهم ومعها أبناؤها الأربعة ، وحضرت وَقْعة القادِسية المشهورة . ففى ليلة الوَقعة صارت تُزَوِّدهم بالنصيحة ، وتُذْكِى حَمِيَّتهم . ومما قالته لهم : يا بَنِيّ إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، فاعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية « اصبِروا وصابروا ورابِطوا واتَّقُوا الله لعلَّكم تُفلِحون » فإذا رأيتم الحرب قد شَمَّرت عن ساقها ، فَيَمَّمُوا وَطِيسَها تَظفَرُوا بالْغُنْم والكرامة ، فى دار الخُلد والمُقامة . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ، يُنْشِدون أراجيزَ يذكرون فيها وصيَّة أمهم العجوز لهم ، حتى قُتِلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذى شرَّفني بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم في مُسْتَقَرِّ الرحمة . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير

المؤمنين وقتئذٍ يُعطيها أرزاق بَنِيها الأربعة . وكان لكل منهم مائة درهم . فهكذا يكون الصَّبْر والثَّبات . ولمثل هذا فلْتعمَل العاملات

ومن شعرها رضى الله عنها :

ألا يا صخرُ إن أَبكيْتَ عَيني
فقد أضحكتَني زمناً طويلاَ

بكيتُك فى نساءٍ مُعولاَتٍ
وكنتُ أحقَّ مَنْ أَبْدَى الْعويلا

إذا قَبُحَ البكاء على قتيل
رأيْتُ بُكاءكَ الحسَن الجميلا

ومنه :

وإن صخراً لَمَولانا وسيِّدُنا
وإن صخراً إذا نَشْتُو لَنَحَّار

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به
كأَنه عَلَمٌ فى رأْسه نارُ

ومنه :

يذكِّرنى طلوعُ الشمس صخراً
وأذكرهُ بكل مَغيب شمس

ولولا كثرةُ الباكينَ حوْلي على أخواتِهم لقتلتُ نفسى
وما يبكون مثلَ أخي ولكن أُعزِّي النفس عنه بالتأسّي

﴿ السيدة خديجة زَوج النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

قيل إنها كانت تُسمى فى الجاهلية بالطاهرة . وهى أولُ امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت أولَ من أسلم . ولقد كانت رضى الله عنها ذات ثروة وافرة ومال طائل. فتَستأجر الرجال للتجارة فى مالها ، وتجعل لهم شيئاً منه . وكانت قُرَيْش تتردد على الشام للتجارة ، فلما بَلَغَ خديجة عن النبي صلى الله عليه وسلم صِدقُ الحديث ، وعِظَمَ الأمانة وكَرَم الأخلاق من قبلِ أن يُبعث رسولا ، أرسلت إليه ليَخرُج فى مالها إلى الشام تاجراً مع غُلامها « مَيْسَرَةَ » ، وتُعطيه أفضلَ ما كانت تُعطى غيره فقَبِلَ . فخرج عليه الصلاة والسلام حتى بلغ الشام ، وباع واشترى . وعاد وقد رَبِحَ ضِعفَ ما كان يربح غيرُه . فلما رأت منه الأمانة بالغَتْ فى إكرامه ، حتى أثْرَت إثْراءً كبيراً . وقد عُرِفَتْ بِرُجْحان

العقل وأصالة الرأى . فمال إليها أعاظم قريش وصار كلٌ يخطبها، ويتمنى أن تكون له زوجة . ولكنها آثرَت النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجت به ، وبقيت معه أربعا وعشرين سنة وأشهراً ، لم يتزوج عليها أثناءها وتُوفِّيَتْ قبل الهجْرة بثلاث سنين ، فَحَزِنَ عليها حزْناً شديداً وعَظُمَتْ عليه مُصيبتها

وإن التى تتأمل فى ترجمة حياة هذه السيدة الكريمة ، لا يَسَعُها إلا أن تُعْجَبَ كلَّ الإعجاب بما وُهبتْ من فِكر ثاقب أدركت به منزلة التجارة وعظيم شأْنهـا فى العُمران ، فخَصَّصَتْ ثَرْوَتها الطائلة للبيْع والشراء حُبًّا فى تثمير المال . ولم تشأ أن تخزِنه أكْدَاساً ، لأن المال إنما يزْكو بِحَرَكة التداوُل ، فيزداد وَينْتَفِـعُ به صاحبه ، كما ينتفع بجانبه من قاموا بتكثيره . هذا إلى رواج السِّلَع وتَمَتع مشتريها بها ، لأن المال هو الذى ينْقلها من أوطانها ويُدَاولها بيْن الناس . ولقد حثَّ النبى صلى الله عليه وسلم على التجارة بقوله (تسعة أعْشِراء الرزق فى التجارة) ولم يقُمْ بها بنفسه إلا للإجماع على أنها مِهنَة شريفة . فأين السيدة خديجـة رضى الله عنها

من كثير من النساء اللّائى لا يَعْرِفْنَ للمال قيمة غير أن يَشْتَرِين الملابس الثمينة والحُلِيَّ من الذهب والحجارة الكريمة التى لا فائدة منها سوى الفخر الباطل ، والعُجب الممقوت .
نعم لا ينكر أحد ضرورة الزينة للسيدات وحُبُّهن لها ، ولكنَّ المنكر أن يُنفق كلُّ المال أو معظمُه عليها ، مع امكان تَثْميره والانتفاع به : وللسيدات فى خديجة رضى الله عنها وغيرها من فُضْلَيات النساء أُسْوَةٌ حَسَنَة

عائشة بنت أبى بكر

هى ابنة سيدنا أبى بكر الصديق ، أول الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وهى فى حَدَاثةِ سِنِّها . وتُوُفِّى قبل أن تبلغ ثمانيةَ عشرَ حَوْلا
وكانت مشهورة بأَصالَة الرأى ، وثاقب العقل ، وفَرْط الذكاء ، مع غزارة العلم وفصاحة اللسان . فكانت إذا تكلمت اسْتَرْعَت الأسماع ، وإِذا خَطَبت بين الجُمُوع ملكت أَفْئِدتهم ، وَسَحَرَت ألبابهم : فهى التى هاجَتِ الخواطر على

قَتَلَة عثمان بن عفّان ، رضى الله عنه . فكان من نتائج ذلك وَقْعَة الجمل المعروفة . فإنها لما علمت بأن عثمان اغتالته اليد الأثيمة فى المدينة بتدبير فريق من القَتَلَة الفَجَرَة ، رجعت إلى مكةَ وقامت خَطِيبة . ومما قالته فى هذا الشأن : أيها الناس ، إن الغَوْغاء من أهل الأمصار وعَبيدِ أَهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل ظُلماً ونَقَمُوا منه . ولَمَّا لَمْ يَجدوا حُجة ولا عـذراً بادروا بالعُدوان ، فسفكوا الدمَ الحرام فى الشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه كان ذنباً ، لخَلَص منه كما يَخْلُصُ الذهبُ من خَبَثِهِ، أو الثوب من دَرَنه ، إلى آخر ماقالت . فقال عبد الله ابنُ عامرٍ الحَضْرمى وكان عاملَ عثمان على مكة : هـأنذا أول مُطالب بدم عثمان . وتبعه بنو أُمَيَّة على ذلك ، وشُهِرت الحرب ، وقد حضرت عائشة الوقعـة بنفسها . وصارت تُشجِّع الرجال على الثبات ، وتحُضُّهم على الصبر والمثابرة ، بما أُوتيتْ من بلاغة وقوة حُجة

وكانت رضى الله عنها أحفَظ أهل زمانها للحديث

الشريف ، رَوَتْ عنها الرُّواة من الرجال والنساء . وكان أحد الصحابة إذا روى عنها يقول : حدثتني الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق البريئة المُبَرَّأة . وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض ويقولون إنها من أفْقَهِ الناس وأحسنِهم رأياً . وقال أحد الصحابة : ما رأيت أحداً أَعْلَمَ بفِقه ولا بطبٍّ ولا بشعر من عائشة

السيدة فاطمة النَّبوية

هي ابنة الإمام الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وقد امتازت على سائر نساء عصرها بجمال طَلعتها . وكانت أكثر شَبَهاً بجدتها فاطمة بنت رسول الله . أما كرم أخلاقها وتَدَيُّنها وَوَرَعُها فحدِّثْ عنها ولا حَرَج . وقد حضرت مع أختها سُكينةَ واقعة كَرْبَلاء . ولما قُتل أبوها أُخِذَتْ مع من أُخذ مِن أهل الشام لحضرة يزيد بنِ معاوية في دِمَشْق الشام ، وقد أرسلهُن يزيدُ إلى المدينة المنوَّرة ومعهن رجل أمين من أهل الشام حتى دخلْن المدينة . فقالت فاطمة

لأختها سُكينةَ وكانت أصغر منها سِنًّا : قد أحسنَ هذا الرجل إلينا فهل لك أن تَصِليه بشيء ، فقالت : والله ما معنا ما نَصِله به إلا ما كان من هذا الُحلِيّ . قالت : فافعلى . فأخرجت له سِوارين ودُمْلُجَيْن وبعثت إليه بهما ، فردَّهما وقال : لو كان الذى صَنَعتُه رغبةً منا فى الدنيا لكان فى هذا كفاية ، ولكنى والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكما من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت رضى الله عنها فصيحةَ المَنطِق ، كريمةَ المَعْشر ، أديبةً تَنْثُر الدُّر ، وتنطق بالحكم ، فمن قولها تَنْعى أباها

نَعقَ الغُراب فقلت مَن	تَنْعاه وَيْحك يا غرابْ
قال الإمام فقلت من	قال الموفَّقُ للصَّواب
قلت الحسينَ فقال لى	بمقال محزُون أجاب
إن الحسين بِكَرْبلا	بين الأسِنَّة والحِراب
أبكى الحسين بِعَبْرةٍ	تُرضى الإلَه مع الثواب
ثم استقلَّ به الجَنا	حُ فلم يُطِقْ ردَّ الجواب
فَبَكِيتُ مما حلَّ بى	بعد الرَّضِيِّ المستجاب

وتُوفِيت سنة عشرٍ ومائة للهجرة ، ودفنت في المسجد المعروف بها الآن بِخُطّ الدرب الأحمر بالقاهرة

﴿ السيدة زَينب بنت الإمام على كرّم الله وجهه ﴾

هى شقيقة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضى الله عنهما وأمها فاطمة الزّهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت فصيحة المنْطِق ، جريئةً طَلْقة اللسان ، مع اتقاد الذهن وسُرعة الخاطر . وللنساء أسوة حسنة فى حسن مَعْشَرِها وكرم أخلاقها ، وصِلَةِ رَحِمها . ولا غَرْوَ فهى حَفِيدَة الرسول عليه السلام ، رافع لِواء الدين ، وناشر آيات الفضائل بين العالمين

وقد حضرت وَقعة كَرْبلاء المشهورة ، التى قُتل فيها أخوها الحسينُ رضى الله عنه ، وهى القائلة :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأُمَمِ
بعِتْرَتى وبأهلى بعد فُرْقتكم
منهم أُسارى ومنهم خُضِبوا بِدَمِ

ما كان هذا جزائى إذْ نصحتُ لكم
أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

ثم سارت مع أهلها إلى الكوفة ، فأومأتْ إلى الناس أن اسكتُوا ثم قالت : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، أَما بعد ياأهل الكوفة ، أتبكون؟ فلا سكنت العبْرة ، ولا هدأت الرَّنَّة ، إنما مَثلُكم مَثلُ التى نقضَتْ غزلَها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ، ألا ساء ما تزرون . إى والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلا ، فقد ذهبتم بعارِها وشنارها . وَيْلكم ياأهل الكوفة ألا ساء ما سوَّلت لكم أنفسكم أن سَخِط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون . أتدرون أىَّ كبدِ الرسول صلى الله عليه وسلم فريتم ، وأىَّ دم له سفكتم ، وأىَّ كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيئاً إدًّا تكاد السموات يتفطَّرْنَ منه ، وتنشق الارض وتخرِ الجبال هدًّا . فذُهِل الناس ووضعوا أيديهم على أفواههم ، وأخذهم الدَّهشُ والحيْرَة . ولما استشْهِد

الحسين رضى الله عنه ، أُخِذت زينبُ مع مَنْ بَقِىَ مِن أهل البيت لحضرة يزيدَ فى دِمَشْق الشام ، حيث قدِّم له الرأس الشريف . فجَعلت فاطمةُ وسُكَيْنَةُ تتطاوَلان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيدُ يتطاول ليَسترُهُ عنهما . فاما رأياهُ صاحتا ، فصاح نساءُ يزيد ، وولولت جميعُ الحاضرات حتى جَوارى القَصر . فقالت فاطمة وكانت أكبرَ من سُكينة : بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبَايا يا يزيد . فقال : يا ابْنَةَ أخى أنا لهذا كنتُ كارها . فصارت تُؤَنِّبه وتُحاجُّهُ وتقرِّعُهُ وتُسمعه من وخز الكلام ما استَشاط له غَضَباً تارة وأظهر الحلم تارة أخرى . ثم أمر بتجهيز أهل البيت إلى المدينة مع الإكرام

﴿ سُكَيْنَةُ بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ﴾

كانت سيدة نساء عصرها ومن أبرعهن جمالا ، وأحسنهن أخلاقاً ، وأظرفهن لقاءً ، وكانت رضى الله عنها شاعرة تحِبُّ الشعر والشعراء ، وتُقرِّبهم وتُجْزِل لهم العطايا . وكانت سريعةَ الخاطر ، حاضرةَ البَديهة ، مُتوَقِّدَةَ الذِّهن ،

تميل للمزاح الأدبي ، وتناضل مَنْ في حضرتها مناضلات أدبية . فقد حُكِيَ أنها حضرت محفلا فيه بنتُ عثمان بن عفان رضى الله عنه . فقالت : أنا بنت الشهيد . فسكتت سكينة حتى إذا أذن المؤذن وقال أشهد أن محمداً رسول الله قالت لها سكينة : هذا أبي أم أبوك ؟ قالت بنتُ عثمان : لا أفخَرُ عليكم أبداً

وقد كانت رضى الله عنها على جانب عظيم من الصبر والجَلَد وتحمل الآلام . فقد قيل إنها أُصيبت بسَلْعَةٍ في أسفل عينيها ، ثم كَبِرَتْ جداً وعَظُم الأَمر ، فأحضرت طبيبها وقالت له : ألا ترى ما وقعتُ فيه ؟ فقال : أتصبِرين على الأَلم حتى أُعالجك ؟ فقالت نعم . فشق جِلد وجهها حتى ظَهرت العروق ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ، ثم سَلَّ عروق السلعة من تحتها ، وأخرجها ورَدَّ العين إلى موْضعها . كلُّ ذلك وسكينة لا تتحرَّكُ ولا تئن ، حتى فرَغ ، وبرِئَتْ وبقى أثر الجُرْح في مُؤْخِرِ عينها . وقد توُفيت رحمها الله سنة سَبْعَ عَشْرَةَ ومائةٍ من الهجْرة

السيدةُ نفيسةُ بنت الحسن

(حفيدة على بن أبى طالب كرم الله وجهه)

وُلدت بمكةَ سنة خمسٍ وأربعين ومائةٍ من الهجرة ، ونشأت بالمدينة المنوَّرة . وكانت رضى الله عنها من الصَّلاح والزُّهد على الحد الذى لا مزيد عليه . فيقال إنها حجت ثلاثين حَجَّة ، وكانت كثيرة البكاء ، تَقِيَّة ، عابدة ، مُصَلِّيَة ليلها صائمةً نهارَها مُسبِّحةً بُكرَةً وَعشِيًّا . وكانت تحفظ القرآن وتُجيد تفسيره وتتلوه حَقَّ تِلاوَتِه . وقيل إن سبب قُدومها إلى مصر أنها فى أثناء حَجَّتها الأخيرة توجهت مع زوجها اسحقَ بنِ جعفر الى بيت المَقدِس ، فزارت قبر الخليل ابراهيم عليه السلام ، ثم جاءت معه الى مصر فى رمضان سنة ثلاثٍ وتسعين ومائةٍ . وقد تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش . ونزلت أوَّلاً عند كبير التجار بمصر ، وكان من ذوى المعروف والبرِّ . فأقامت عنده شهوراً يأتى إليها الناس من سائر الآفاق ، يَقْتَبِسُونَ من علمها وأخلاقها الكريمة ،

عليك، وقد بلغ مُنْتَهَى الظلم والعَسْف ، واشتدّ بالعباد الأمر ،
وأخاف أن يقوموا عليه قَوْمَةَ رجل واحد ، فَيهلك ونهلك
نحن معه ، وتنقرض الدولة . فراق لديه ما قالت ، ثم قالت ،
إن الحاكم سيَصْعَد فى هذا الجبل غداً ولا يَصْحَبُه إلا صبيّ ،
فأقِم رَجلين تثق بهما يقتلانه والصبيّ ، ثم نقيم ولده من بعده
وتكون أنت مُدِيرَ الدولة ، وأزيد فى اقطاعك مائة ألف
دينار . ثم أعطته ألف دينار للرجلين . فاختار اثنين من ثقاته
وأخبرهما بالقِصَّة ، فمضيا إلى الجبل ، ولما انفرد الحاكم هجمَا
عليه وقتلاه ، وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة وسبعة أشهر . فلما
أيقن الناس بقتله ، اجتمعوا إلى أخته ستّ الملك ، لعلمهم
بفضلها وثِقتهم بعدلها ، ونزاهتها ، وبُعد نظرها . وشاوروها
فيمن يَخْلُف أخاها ، فأجلست على سرير الحُكم علىّ بن
الحاكم وهو لا يزال صبياً ، وبايع له الناس ولقّبوه بالظاهر .
وأنشأت ستّ الملك تدير الدولة ، وصية على ابن أخيها رافعة
لواء العدل بين الرعية مُنصفة للمظلومين ، ضاربة على أيدى
البُغاة والطاغين . فأحَسَّ الناس بالفرق العظيم بين حُكمها

وحكم أخيها ، فأحبوها حباً جماً . ولكنها لم تُعمَّر طويلا ، فماتت بعد أربع سنين سنة ٤١٥ هـ فحَزِن عليها أهل مصر ولم يَنْسَوْا فضلها العميم . أثابها الله جزاء إحسانها ، وأجزل لها الأجر في دار النعيم

شَجَرَةُ الدُّرّ

هى المِلكة عِصْمَةُ الدين ، زوجة السلطان الصالح نجم الدين أبي الفُتُوح أيوب . كانت عاقلة مُهَذَّبَةً ، خَبيرة بالأمور وسياسة الناس . وكان يَرْجِعُ إليها زَوْجُها فى الرأى ويَسْتَشِيرُها فى المُهمَّات . ومن أمرها أنه لما ماتَ الملكُ الصالحُ بناحية المنصورة فى قتال الإفرِنْجَة ، قامت بالأمر ، وكَتَمَتْ خبرَ موته ، واسْتَدْعَتْ ابنه توران شاه من بلاد القوقاز ، وسلّمَتْ اليه مقَاليد الأمور . فتَوَلّى المُلْكَ بقلعة دِمَشْق فى رمضان سنة سبع وأربعين وستمائة هجرية ، ثم قَدِمَ إلى الصالحية ، وأُعلِنَ يومئذ موتُ الصالح . وكانت شجرة الدر حتى ذلك اليوم قائمة بتدبير شئُون الدولة . توهمَ

الناس إن السلطان مريضٌ ولا سبيل لوصول أحدٍ إليه ، ثم أساء السلطان توران شاه التصرُّف فى الأمور ، فقتله المماليك البحرية بعد سبعين يوماً من توليتِهِ . وبموته انقضت الدولة الأَيوبية من مِصْر . فأجمعَ المماليكُ البحريةُ على أن يقيموا بعده شجرة الدر ملكةً ، وحلفُوا لها يمين الطاعة والإخلاص فقامَتْ بتدبير الأمر خيرَ قِيام ، وأقامَتْ نصابَ العدل ، ورَتَعَ الناس فى بُحْبُوحةِ السعادةِ والهناءة ، وأنفقت بَدر الأموال على المحتاجين والمُعْوَزين ، وضَربت السِّكة باسمها وشيَّدت الجامعَ المدفونة به الآن بخطِّ الخليفة بمصر ، بالقرب من مَشْهد السيدة سُكَيْنَةَ بنتِ الحُسيْن رضى اللهُ عنهما . ومن مآثرها أنهـا أول من سيّرَ المحْمِلَ الذى يعتَبرُ رائداً للُحجّاج . فبقى إلى أيامنا هذه تحتفلُ به الحكومةُ احتفالا رسمياً فى كل عام : فيُسَلَّم زمامُ الجمل الحامل للمحْمل إلى مبعوث كبير من الحكومة المِصْرية يُسَمى أميرَ الحج ، يحمل الهدايا إلى بلادِ الحِجازِ ، ويفصِلُ فى مشاكل الحجاج ، ويُؤَمِّنُ لهم الطريقَ لأداء فريضةِ الحج



موكب المحمل الشريف

ومع ما كانت عليه شجرةُ الدرّ من الصِّفات العظيمة ، والأخلاق الكريمة العالية ، لم يرض أهْلُ الشام أن تكونَ سلطانةً عليهم ، لأن الشام في ذلك العهدِ كانت جزءاً من السلطنة المِصْرِية . فتزوَّجها الأميرُ عِزُّ الدِّين أيْبَك التركُمانىّ وَنَزَلَتْ له عن المُلْكِ بعد أن حكَمَتْ ثمانين يوماً

اليَاصَبَاتُ ملكة انجلترا

(Queen Elizabeth)

وُلِدَتْ في سنة ١٥٣٣ وتُوُفِّيَتْ في سنة ١٦٠٣ ميلادية ، وهى من أعظم من اعتَلَى عَرْشَ الإنجليز ، شاركت أخاها في التَّعلم ، وكان يأخذ عن رجل من أوْفَرِ الرجال علماً، وأوْسَعِهم معرفة . وبرَعت في اللغات حتى كانت تتكلم بأشهرها في زمانها وهي اللاتينية والفرنسية والايطالية والإسبانية والفلمنكية . وتَرْجَمت بنفسها إلى الانجليزيةمؤلفاً إيطالياً . وكان يحْلُو لها درسُ التاريخ ، وتفضله على ما سواه من العلوم ، لما فيه من الحوادث المُهذِّبة ، التى تُهِمُّ الملوكَ



(اليصابات ملكة انجلترا)

العظامَ أمثالَها معرفتُها . أمَّا عصرها فكان أزْهَرَ العصور الإنجليزية : ظهر فيه من رجال السياسة والحرب والفلسفة مَنْ جعلوا لانجلترا مقاماً سامياً ، ووَقَعَ فيه من الحوادث الجُلَّى ما خلَّدَ ذِكر الياصبات فى التاريخ . ولقد كانت هذه الملكةُ العظيمة على ما أُوتيَت من واسع السلطان والنفوذ، تحتقر الإِفراط فى التنعُّم ، وتسلُك مَسلك الاقتصاد فى بيتها، وتكرَه الملق . وقد كان فيها كثير من الصفات اللازمة لرُقِّى الشَّعْب الإِنجليزى إذ ذاك ، وهو يَتأَهَّب للوُثوب والنهضة إلى الأمام . على أن كثيراً من المؤرخين يَنْسُبُون جَلالَ عَصرها وأُبَّهَة مُلكها إلى وزرائها العظماء ، وقادَة بلادها الحكماء ، وهم بذلك لا يَغمِطون حقَّها من الفضل ، لأنها هى التى كانت تختارهم وتَصطفيهم . ويَرْوى التاريخُ أنَّ مِنْ أَلَدِّ أعدائها فى زمانها وشرِّ خصومها فى غُلْواءِ مُلكها ، ملكَ إِسبانيا : فقد كان يَدْفعهُ حِقدُه عليها إلى مناوأتها ودسِّ الدسائس لها . فقد أعدَّ العُدَد لِمُحاربتها فجهز مِئات السفن الحربية ، وسماها « أرمادا » ، وجمع من الرجال والذخيرة

ما يُرْهب . فبلغ الإنجليزَ خبرُه ، فأوفدت له الياصباتُ قائداً هُماما اسمه (دِريك) تَسَلَّلَ حتى دخل ميناء قادس باسبانيا ، وأحرق من ذلك الأسطول الضَّخْم سُفُناً لا يقل محمولها عن عشرة آلاف طن من قبل أن تبدأ الحرب ، فأصاب بذلك كَبِدَ إسبانيا وهاج غيظَها . فأجمعت أمرها ثانية ، وخرج الأسطول سنة ١٥٨٨م وعدد بوارجه ثلاثون ومائةٌ من أكبر طِراز القرن السادس عشر ، فلاقاها ضَراغِمُ الإنجليز بأسْطول أقلَّ عَدداً وعُدَداً ، وتغلبوا عليها بفضل مهارة القيادة وبدَّدوا شَملها ومزقوها كلَّ ممزَّق . فانفرد الانجليز بالعظمة فى البحار ، وكان هذا الحادثُ من عصر الياصبات بَدْءَ ما لأسطول الإنجليز من المَنَعَةِ والرَّهبة والسَّيْطرة حتى وقتنا هذا . فلا عَجَبَ إذا ذُكر اسمُها فى تاريخ الإنجليز مقروناً بآيات الثَّناء والإعجاب

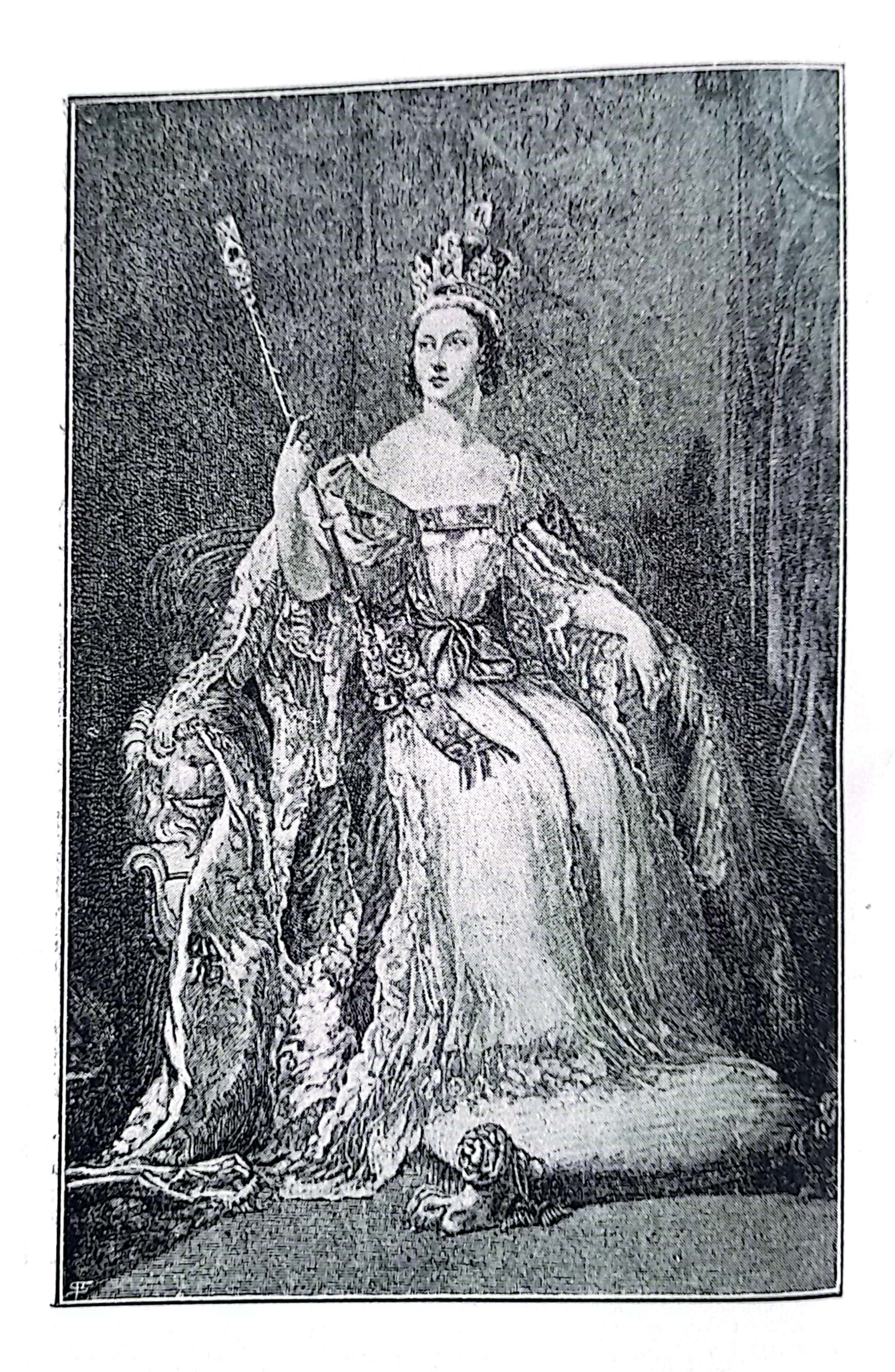
﴿ الملكةُ فِكْتُوريا ﴾

(Queen Victoria)

عُرِفَتْ الملكة فكتوريا ملكةُ بريطانيا العظمى وإمبراطورة

الهند بالذكاء المُفرِط ، وأصالةِ الرأى ، وبُعْدِ النظر . وقد كانت أيامُ حكمِها عصرَ سعادة وبركة ويُمْنٍ على شعبها . وكانت تُحب بلادَها حبًّا جمًّا ، ودأَبَتْ فى ترقيتها ورفع شأنها حتى أدرك الشَّعْبُ الإِنجليزى فى أيام دولتها منزلة عظيمة فى العلوم والمعارف

ارتقت الملكةُ فكتوريا أريكةَ المُلك قبل أن تبلغ العشرين من عُمرها ، فرأت أنها مسئولة عن أكبر دولة فى العالم . فعَمَدَتْ لطريق الحزم والسَّداد ، والنظر فى شُئون الدولة بنفسها ، غيرَ مُعْتَمِدَة كلَّ الاعتماد على وزرائها ورجالِ دولتها . ومما يُؤْثَرُ عنها أن كاتم أسرارها كان يَعرِضُ عليها يوما أوراقاً لتُبدىَ فيها رأيها ، وتبُتَّ فى شأنها . فوقع نظرها على حكم مجلس عسكرى يقضى بإعدام جُندى رَمْياً بالرَّصاص. فسألت جلالتُها عن تُهْمَةِ هذا الجندى، فأجابها كاتم أسرارها بأن هذا الجندىَّ قد فرَّ هارباً من الجيش ثلاثَ مرَّاتٍ ، وقد حُكِمَ عليه من قبلُ بعقوبات مُختلفة لَمْ تُقَوِّمْ أخلاقه . فقالت الملكة : أَلا يوجد فى مِلَفِّهِ ما يَشْفَعُ له ؟ فاجيبت



(فِكْتُوريا مَلِكَةُ إنجلْتِرا وإمبَراطُورَةُ الهِنْدِ)

بأنه خاطَر بحياته مرة دفاعًا عن بلاده . فقالت : سأجعل هذا له شفيعًا ، نبِّئه أنى عفوتُ عنه . ثم تناولت يراعها وَوَقَّعت بيدها الكريمةِ بالعفو عنه ، فكان هذا سببًا فى أن سَلكَ ذلك الرجلُ الطريقَ السَّوىَّ ، وقوَّم ما اعْوَجَّ من طباعه وأخلاقه ، فاستقامت أموره ، ولَبِثَ مثالَ الطاعة والجِدِّ والنشاط فيما بقى له من أيام الجندية .

أَحسِنْ إلى الناس تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ
فطالما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ

﴿ جرِيس دارْلِنْج ﴾

(Grace Darling)

على مسافة قريبة من شَمال شرقى انجلترا ، مجموعةٌ من الجزُر مُجْدِبة قاحِلة يبلغ عددها نحو خمس وعشرين جزيرة . قد اختلفت مساحتها ، وتنوعت أشكالها ، وهى خالية خاوية لا يسكنها إلا طير الماء والوحش . ولكنَّ واحدةً من كُبْرَياتِ هذه الجزُر قد خلَّد التاريخُ ذكرَها ، لأنها وطن



جريس دارلنج

وَوالِدُها

في قارب النَّجاة

فتاة انجليزية تدعى « جريس دارلنج » لا يُذْكر اسمها بين قومها الا بالإجلال والإعظام ، لعمل شريف أتته يَنِمُّ على ما انطوت عليه جوانحها من الشجاعة وجُمَّاع مكارم الأخلاق .

عاشت جريس دارلنج كلَّ حياتها فى هذه الجزيرة الصخرية ، منقطعةً عن العالم وضَوْضائه مُنْزَوية مع والديها فى كوخ حقير ، يتعهدون بجانبه منارةً تَهْدِى الملاحين . منارةً تنفذ أشعتها ليلا فى كبد ظلام البحار ، فتبعث ببارق أمل يُذْهِب اليأس وتُسَرَّى به الهموم . أَلِفَتْ دارلنج عيشتها على هذى الشُّعَب الصخرية ، تهدى الضَّالَّ وتُحَذِّر السَّارِى أن يَرْتطِمِ ، وتشير بالنور أن ابْعُدُوا أيها الملاحون عن هذى الصخور . أَلِفَتْ هذه الحياة مَحبَّةً فى الإنسانية ، فكأنما هذا الوطن المُوحش كِناسُ الأُنس ، ومُقَام السعادة ، لا تريد به بَدِيلا ، ولا ترغَب عنه تحويلا ، وكأَنَّا بها نَتَمثَّلها وهى جالسة فى النهار الصَّحْو مع أمها على باب الكوخ تتشَمَّسان وتحْكِيان وتحِيكان ، بينما أبوها يُهيِّيء المصباح ، ويَرْقُبُ السفن بِمِنْظاره ، وكأَنَّا بها نَتَمثَّلها مع والديها فى ليل شديد القُرِّ تُزَمْجِرُ فيه الرياح ، وتَعْصِفُ الزَّوابع وتَهْطُلُ الأمطار الغِزَار ، يَصْطلون جميعاً

ويتدفأون ويَسْمُرُونَ : يقُصُّونَ قَصَصَ ما عاينوا وعانَوْا من جنُوح المراكب وارتطام السفن ، وما اعتادُوه من مُشاهدة الأهوال والعجائب . أى « دارلنج » لله ما أشْجَعَك وما أكْبرَ جنَانَك إذا ذُكِرَت بَطَلَاتُ النساء !

كانت « دارلنج » معتدلةَ القوام ، ذات عينين سَوْداوَيْن لامعتين وشعرٍ فاحم ، فى الثانية والعشرين من عمرها عند ما وقعت هـذه الحادثة . كثيرة الحياء جمّة الخجل ، يُقرأ فى عينيها الزرقاوين ما فُطرت عليه من عَطْفٍ وحنَان

ففى ليلة لَيْلَاءَ من شهر سبتمبر سـنة ١٨٣٨ ميلادية مرت باخرة إزاء شاطئ انجلترا بينه وبين تلك الجزر ، وكان الضباب ضارباً أطنابه ، والظلام مُسْبلا سُدُوله ، والريح تُصَفِّر مُؤْذنة بالْعَصْفِ والقَصْف ، وما لَبِثَ الماء أن هاج وماج ، وهى تجرى بهم فى موج كالجبال أو

كَريشة في مَهَبِّ الرّيح ساقطة

لا تستقر على حال من القلق

وما عتَّمَ المركب أن انصدع ، فانصدعت القلوب ، ولم

يفِدْ ما بُذِلَ من الجهد لإنقاذه ، فعثر بالركاب الجد وحُمّ القضاء وطوّحت بهم الريح ، فارتطمت السفينة في بعض الشُّعَب فانكسرت ، وانفجرت مراجلها ، وهلك الربّان ومَنْ فيها إلا قليلا ممن هدى الله ، تسلّقوا الألواح الطافية ، وركبوا الشظايا العائمة ، كدود على عود . ولكنهم لم يلبثوا على هذه الحال إلا قليلا ، فقد نهكهم الكفاح فكلّ الساعِدُ ووَهَنَ الجَلَد وبلغت الروح الحُلْقوم ، حتى مطلعِ الفجر وانبثاق الصباح . فخرجت « دارلنج » من حجرتها كعادتها تُمتّع الطَّرف برؤية البحر الخِضَمّ ، وتقرأ آياتِ الله فى كتاب الطبيعة . وبينما هى سابحةٌ فى تأمل قدرته تعالى وتبديله الغَيْم صَحْواً ، والخوفَ أمْناً إذ لاحتْ منها التفاتة فإذا أشباح بلا أرواح ، تتقاذفها الأمواج وتتخطفها اللجج . فتعلو بها وتَهوى . فصرخت يا للنجاة ! وأسرعت إلى والدها تَستحثه وتستنجده . فقال : ويلاه يا بُنَيّتى إنى شيخ فانٍ قد وهن العَظم منى واشتعل الرأس شيباً وضَعُفَتْ قواى ، وأنت فتاة غضّة لا تَقْوَين على مغالبة هذه الأمواج الثائرة ، وقاربُنا

صغير حقير . . . فقاطعته وأقسمت أن تُنقِذهم أو تموت . ثم تضرعت إليه وتوسلت . فشمّرا عن ساعد الجدّ ، وعمدا إلى القارب ، وتناول كلٌّ مِجدافا ، وخاضا عُباب الماء ، حتى كانا من الهلاك قاب قوسين أو أدنى . فلما وصلا إلى تلك الأشباح وهى تلفِظُ أواخر الأنفاس أنقذا كلَّ مَنْ بَقِيَ فيه رمقٌ من الغرق ، وتغلّبا على الصّعاب والعوائق بصبر نادر ، وثبات عجيب ، حتى تمَّ لهما ما أرادا من عمل البر ، وإسداء المعروف وإغاثة الملهوف . فرجعا بهؤلاء المنكوبين إلى الكوخ ، وأخذا يتعهَّدانِهم بأنواع البر والعناية ، حتى صَحا الجو ومَثلوا للعافية . فرجَعُوا إلى أوطانهم يقُصُّون خبرهم العُجاب ، ويتحدثون بشجاعة تلك الفتاة النادرة ، وكريم شمائلها ، وشريف عواطفها . فطار صيتُ دارلنج فى الخافِقين وردّده البرق فى الآفاق ، وأطنبت الجرائد فى الثناء ، وانهالت عليها الرسائل من كل صوْب من عظماء رجال الدول الأوربية ، وبعثوا إليها الهدايا والتحف والأموال . ونحن بعصر الآن نروِى حكايتها ونُعجَبُ بشهامتها وبَسالَتِها

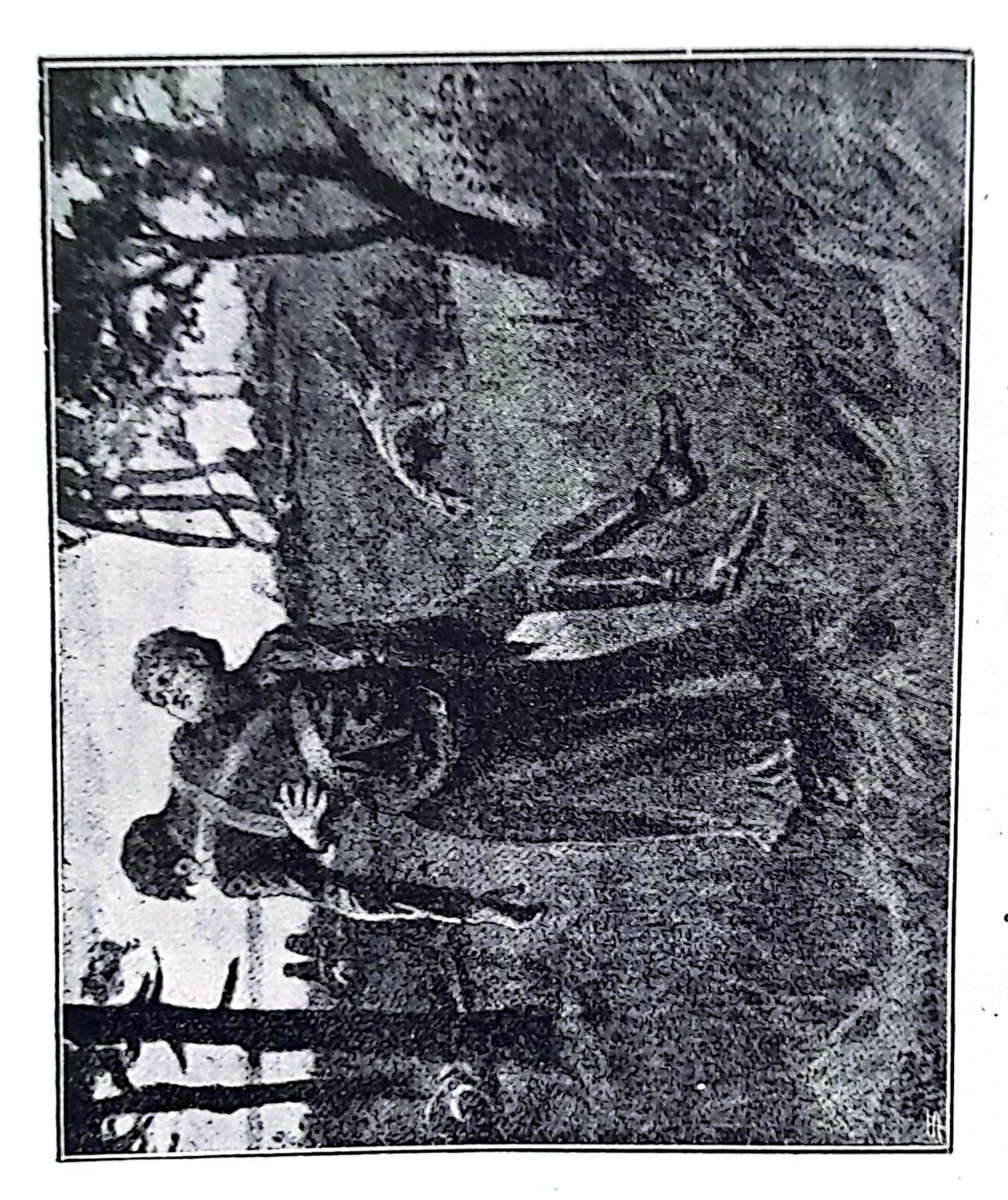
لورا سيكورد

(Laura Secourd)

« بطلة فى تاريخ كندا »

التاريخ مُفْعَمٌ بأسماء بطلات النساء ، اللاتى كان من قوة جنانهن أن شَهِدْنَ المواقع ، ونزلن الوغى ، وركبن المخاطر ، : سواء أكان بامتشاق الحُسام بأنفسهن ، أم بإعانة الجَرْحى وإسْعاف المرْضى . على أن اسمَ المرأة كاسم الرجل جديرٌ بالتمجيد والتخليد ، إذ كان لها من المآثر والفضل ما يرفعها إلى هذه المنزلة الكريمة ، كما هو الامر فى السيدة « لورا سيكورد » بطلة هذه النُّبْذَة التاريخية

كانت سيكورد زَوجَ أحدِ الكَنَديّين المخلِصين لوطنهم ، العاملين فى الذَّودِ عن بلادهم . قد انتظم فى سِلك الْجنديّة أثناء إغارة الأمريكيين على كندا سنة ١٨١٢ م لما أقبلوا عليها بِخيلِهم ورَجِلِهم ، واجتاحوا الأراضى ، وملكوا القُرى والمدن ، وهددوا البلاد ، ووقف أبطال كندا يدافعون



لورا سيكورد تحمل زوجها الجريح الى بيتها

ويناضلون، وجل أمانيهم أن يمنعوا العدوَّ من عبور نهر نياغرا، فجرح زوجُ سيكورد فى بعض الملاحم ، وخرَّ فى ساحة القتال مغمًى عليه بين الأشلاء والقتلى ، حتى جاءت سيكوردُ واجفةً مروَّعة مذعورة تبحث عنه فيما بينهم . فعثرت به وقد أخذ منها الأسى كلَّ مأخذٍ ، وشمِلها اليأسُ . ولكن ما لبثَتْ أن مَلكت شعورها رُوَيْدًا فحملَتْه فانتبذَتْ به دارها القصيّة . وأخذت تُضمِّد جِراحه ، وتُعْنَى بأمره أشهراً طِوالاً رائدُها المحبة والإخلاص ، والأمانة والوفاء . فلم تنجح إلا فى تخفيف بعض آلامه لِما كان قد لحِقَهُ مِنَ الوَهْن والضَّعْفِ العظيم . وقد زاد حالها تعسًا أن منزلها وماحوله من الضياع والحِراج وقع فى قبْضَة العدو . وضَرب عليه نِطاقًا من الجواسيس إلى أميال بعيدةِ المَدَى

أما موقِفُ العدو فكان على مَناعتَه وقوَّته يهدِّده ضابطٌ كَنَدِيٌّ إرْلَنْدِيٌّ يُدْعى « فتْزجيبُون » قد رَبَضَ على مقْرُبَةٍ منه ، ، وَمَلكَ أَعِنَّةَ الطُّرُقات ، وسدَّ عليه المنافذَ الرئيسية . فأرسل العدوُّ اليه فصِيلةً مكوَّنة من ستمائة من

رجاله لِتُزَحزِحَهُ عن مكانه ولكنها لم تنجح

وقد صادف فى اليوم الثانى والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨١٣ أن اثنين من عِظام الضباط الأمريكيين كانا على مَقْرُبة من منزل سيكورد ، يَتباحثان ويُعْملان الفِكرَ ، ويُدَبران الخُطَطَ لاغتيال الضابط الكَنَدى الإِرْلَنْدِى الذى قطع عليهمُ الطريق . وما كانا يَحْسبانِ أنَّ رجلاً قُعَدَةً جُثَمَةً وامرأةً مهزولة ضعيفة مثلَ سيكورد يسترقان السمعَ ويَعِيان كلَّ ما يقال . فما وُضِعَت الخُطة الحربية حتى ثارت فى نفس سيكورد الحَمِيَّةُ الوطنية ، وصَمَّمَت على أن تُبلِّغ « فِتزْجِيبُون » الخطةَ أو تموتَ

فلما رَحَلَ الضابطان ، خرجت عاريةَ الرأس ، حافيةَ القدم ، لا يَظْهَرُ عليها شيءٌ من علاماتِ التأهب لسفر طويل ، فعَمَدَتْ إلى بقرتها فلما قرُبت منها استنفرتها . فشرَدَت خائفة مذعورةً فخرجت وراءها تقتفى أثرَها مُظهرةً الفزَعَ من نِفارها ، ولكنها ما كانت فى الحقيقة إلا مُنَفِّرَةً لها . وما زالت كذلك تقطع مرحلة بعد مرحلة ، والحرَسُ لا يَرَوْنَ إلا منظراً طبيعياً لا شُبهة فيه : بقرةٌ نافرة وامرأةٌ

هائمةٌ وراءها . فلما أمنَت العيونَ والرُّقباء ، وقد أضناها التعب ، تركت بقرتها وواصلت السيرَ وقد دَميَتْ قدماها ، ومزّقت الأدغال ملابسها وهى تطوى الأرض ولا تلوى على شيء : تُصعِّد على التلال ، وتعبُرُ الجداولَ ، إلى غَسَقِ الليل ، وقد خيَّم الظلام وأسبلَ سدُله وأحاطت بها المخاوف . ولكنها ثابرَت وما وَنَتْ حتى أدركت غايتَها عند شروق الشمس . فمَثَلتْ أمام الضابط « فِتْزْجِيبُون » وقَصَّت عليه القَصَصَ وخرَّتْ مَغْشِيًّا عليها . فأقبل عليها هو ومن معه يتعهدونها حتى ثابَتْ إلى رُشْدها ، ثم أجمعوا أمرهم ودبَّروا خُطَّتهم وسارعوا إلى الهجوم ، وفاجأوا العدوَّ على غِرَّةٍ ، فَسُقِطَ فى يده . وهكذا دُوِّنَ اسم سيكورد فى صفحات تاريخ هذه الوقعة المجيدة إلى ما شاء الله

ولما زار جلالة ملك الانجليز أدوارد السابع كندا سنة ١٨٦٠ م وكان إذ ذاك وَليَّ العهدِ ، كانت سيكورد لا تزالُ على قَيْد الحياة ، فزارها وحادثها وَوَصلها بِصَلات سنية أطْلَقتْ لسانَها بالشكر والدعاء له



لورَا سِيكورْد تَستقبِلُ فى بيْتِهَا المَلِكَ ادوَارْدَ السَّابعَ
وَهُوَ وَلِيُّ العهْد

لِينا

(Lena)

(فتاة شَجيعة)

كانت فى إحدى قرَى جبال الألْب الإيطالية، الواقعة على الحدود الشمالية الغربية ، فتاةٌ قد كَفلَتها أمُّها بعد أن مات أبوها دِفاعاً عن وطنه، أيامَ كان نابُلْيُونُ الأكبرُ يَحْشُدُ الجيوشَ الجرارة ويَسْفك الدّماء مِدراراً ، طمعاً فى الاستيلاءِ على إيطاليا . وكانت « لِينا » فتاتُنا هذه لا تَفتأ تذكُرُ والدَها الفقيد، وقلبُها ينفطر من أجله أسًى وأسفاً. ولم يكن لها سُلْوانٌ سوى أنه مات شهيد الوطن، شهيدَ الحرية. فكان إذا قام بها هذا الخاطرُ وتمكَّن منها . تمنّت لو كانت رجلاً يموتُ هذه الميتةَ الطاهرةَ الشريفة. ولم يكن هذا شأن «لينا» وحدَها، بل كان سُكانُ إيطاليا جميعاً على هذا الشعور وتلك الحَمِية ، التى أذكاها فى نفوسهم خَوْفُهُم على وطنهم من ذلك الفاتح الهاجم . وقد كان الإيطاليون فى الملاحم

التى جرت حينئذ يُهَيِّئُونَ على قُلَلِ الجبال حَطباً يقوم بجانبه بعض الجنود ، حتى إذا لمحوا عن بُعْدٍ جيوشَ الأعداء أشعلوه فيكونُ إيذاناً بالخطر الداهم والعدوّ المُغير . فيأخذ كلٌّ عُدَّتَه ويتحفّزُ للقاء . ووافق فى يوم من أيام الأعياد أن استبطأ القومُ عدوَّهم ، ولها بعضُ الحرس عن واجبهم ، واحتشد الناسُ فى قُرَاهم ومدائنهم . فأدرك العدوُّ لَهْوَهم وانصرافهم عن واجبهم ، فأخذ يتسلق الجبال من جهاتٍ مُلائمة ، ويتخير الطرق لساعة الهجوم الفاصلة ، والمعمعة الحاسمة . وبينما هو كذلك كانت « لينا » تستريض بجوار بعض تلك الجبال ، فخطر لها أن تتسلق أحدَها تسْرِيةً لِلْهَمِّ عن نفسها ، وبعثاً للنشاط والسرور . فلما أدركت القِمَّة إذا بها عند الحطب ولا رقيبَ له ، فنظرت يَمْنةً وَيَسْرَةً فإذا بعضُ الجند من العدو فى تدبير وتفكير ، بينما قومُها فى لهو وتغرير . فأيْقَنَتْ أن الخَطْبَ حالٌ والبلاءُ نازلٌ إن لم تسارع إلى إشعال الحطب . فأوقدته وكان منقوعاً فى زَيت النِّفط ، فسرَت فيه النار كلمح البصر ، واندلعَ لَهَبُها . فرأته جنودُ العدو فجرَت تستطلعُ الخبرَ



« لِينَا » في سَبِيلِ الواجِبِ نَحْوَ الْوَطَن

فلمحت الفتاةَ هاربة . فأطلق بعضهُم النارَ عليها فأصابها فى ذراعها ولكنها من ذُعرِها وَوَجلِها لم تُحِسّ بالجرْح إلا بعد أن بلغت كُوخها ، حيث غلبها الضّعْفُ فخرّت مغشياً عليها .

فجعلت أمها تعتنى بها حتى أفاقت وقَصّتْ عليها قصَصَها . فَسُرّتْ بشجاعة ابنتها ونجدَتِها وصِدْقِ وطنيتها . وأما الخطبُ فَعَظُمَ اضطرامه وانعقد مع السُّحُب دُخَانه ، فلَفَتَ أنظارَ القوم وهم فى غَيّهِم ونشْوةِ طرَبهم فهبُّوا مذعورين خَشيةَ أن يُصيبَ البلادَ مكروهٌ فأقبلوا على الواجب ، وامتشقوا الُحسام ، وتأبّطوا البنادق ، وأنذروا العدوّ بالوَيل والثُّبور .

فاما رأى صِدقَ عزيمتهم ، وحُسْنَ استعدادِهم ، وشِدَّة بأسهم ، أيقَنَ بالفشل وتَنَحّى عن مراكزه التى كان قد احتلها ورجعَ أدْراجَه . وكان « للينا » هذا الفخارُ العظيمُ والشرفُ السامى . فكأنها من ملائكة الرحمةِ ، هَبطتْ فأنقذت قومها من كارثة كادت تُودِى بهم ، وَبليةٍ أوشكت أن تَقضىَ عليهم . فهكذا الصادقات المخلصات ولمثل هذا فلتعمل العاملات . إن فى ذلك لآيةً لأولِى الألباب

فلورنس نايتنجيل

(Florence Nightingale)

هو اسم سيدة نبيلة ، أصبح الآن رَمزاً للإنسانية ، وعُنوانا على مبلغ ما تَصلُ اليه رَبَّاتُ الحِجال من العطف والحَنان ، والشهامة والكرامة . ظهر اسم فلورنس نايتنجيل ورَنَّ صداه وتضوّع نَشْرُه فى أيام حرب القِرْم بين الروس والإنجليز : إذْ وقف الفريقان كفرَسَىْ رِهان ، يبذل كلٌّ مُهجَته لإرغام خَصمه لإحراز النصر والسيطرة على العالم . فسالت الدماء أنهاراً ، وزَهَقت الأرواح ، وتمزقت الأجساد فكنتَ إذا خُضْتَ ساحةَ الوَغى جزِعْتَ ، ونَدَبْت رجالا تئنّ ، وأبطالاً تدْمَى ، وأسوداً تتجرّع سكَرَات الموت فى الليالى الليلاء ، منبوذين بالعَراء . أىْ فلورنس مَلَكَ الرحمة ، أنتِ فيما بين هؤلاء تجوسين خِلالَهم ، وتتخَطّينَ صفوفهم ، وتحْنينَ عليهم : تجسّينَ النبْضَ ، وتُضمِّدين الجِراحَ ، وتخففين



(فلورِنس نايتنجِيل)

الأتراح. فلله قلبك ما أقواه، ولله جنانك ما أسماه، جمعت حولك لفيفاً من شريفات الأنفس والغايات، وكريمات الشمائل والمقاصد، فكن نحو الأربعين، ثم زدن حتى بلغن مائة وخمسين. أخذن على أنفسهن رعاية الجرحى والمرضى الذين لفظتهم رحى الحرب. فأنعم به من واجب وأعظم بها من مروءة! كن يطفن فى جنح الظلام تحمل الواحدة قنديلها، حتى إذا عثرت على من هو فى حاجة إلى المعونة والعطف تعهدته وأسعفته حتى يفيق ويثوب إلى رشده، ثم يحمل إلى مستشفى جمع أسباب الراحة وأدوات الإسعاف والمعونة، لا يبرحه حتى يبل ويلبس ثوب العافية. هذا هو بعض ما أتته فلورانس من جلائل الأعمال. ابتدعت هذا النوع من الإسعاف والعناية بالجرحى، فتناوله الخلف من بعدها ونظموه، ووصلوا به الى ما يسمى الآن «بجمعية الصليب الأحمر» ويعرف فى ممالك الإسلام باسم «الهلال الأحمر» ولا يجهل أحد مقدار هذا العمل وما له من الأيادى البيضاء على المجتمع الانسانى: فقد نشر لواء البر

والإحسان فى أنحاء العالم ، تخضع له أقسى القُساةِ من الغُزاةِ ، وَحنى له الرأسَ إجلالاً وإكباراً . هذا النظام الجليل هو أثرٌ من آثار سيدة ، وفكرةٌ من بنات أفكارها ، وأملٌ من آمال فؤادها . وُلدت فلورانس نايتنجيل فى مدينة فلورَنسة سنة ١٨٢٠ م . فلما نشأت وترعرعت تعلمت فن التمريض ، حتى إذا أتمَّت دراسته أسست ملجأً في شارع هارلى بلندن ، وهو شارع النطاسيين من الأَطباء إلى وقتنا هذا . وكانت تَقضى أوقاتها بهذا الملجأ ، تخفف الآلام بما فطرت عليه من الحُنوِّ وإنكار الذات . حتى إذا شُهِرَت حربُ القِرْم هرَعت إليها ، ودعت الناس للاكتتاب لعملها المبرور ، وحَضَّتْ النساء على مَدِّ يد المعونة. فجمعت أكثر من مليون فرنك، والْتَفَّ حَوْلَها من السيدات جمعٌ غفيرممن يستعذِبْنَ الألم فى سبيل تخفيف الألم. وبعد الحرب بَقي كثيرمما جُمع من المال، فوقفته على توسيع نطاق مستشفى سان توماس بلندن. وهو من أشهر المعاهد الطبية المعروفة هناك الآن . وأخذت على

نفسها القيام بتدريس فن التمريض به . ومن ذلك نشأت فكرةُ تدريب السيدات على هذا الفن . ثم شاعت فى جميع أنحاء العالم الراقى ، فاحتذاها ونَسَجَ على منوالها . وأُنْعِمَ عليها بمبلغ خمسين ألف جنيه خصصته لتأسيس « دار نايتنجيل للمرضات » . ومنحها ملوك أوربا ألقابَ الشرف « والاوْسِمة » اعترافاً بفضلها وإقراراً بجميلها على النوع الإِنسانى

وإنما المرءُ حديثٌ بعدَهُ
فَكنْ حديثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَى

